

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

فصلية علمية محكّمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكليتي الآداب والعلوم الاجتماعية



علاقة نورمان صقلية
بالقوى الإسلامية في شمال إفريقية
خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي

د. جمعة محمد مصطفى الجندي

قسم التاريخ - كلية التربية

جامعة عين شمس

جمهورية مصر العربية

الرسالة ١٩٤

الحولية الثالثة والعشرون

١٤٢٣ - ١٤٢٤ هـ

٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ م

مجلس النشر العلمي

جامعة الكويت

تأسس سنة ١٩٨٦

مجلة كلية الآداب والتربية (١٩٧٢-١٩٧٩)، مجلة العلوم الاجتماعية ١٩٧٣، مجلة الكويت للعلوم والهندسة ١٩٧٤، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ١٩٧٥، لجنة التأليف والتعريب والنشر ١٩٧٦، مجلة الحقوق ١٩٧٧، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ١٩٨٠، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ١٩٨١، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ١٩٨٣، المجلة التربوية ١٩٨٣، مجلة الأسس والتطبيقات الطبية ١٩٨٨، المجلة العربية للعلوم الإدارية ١٩٩١

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

فصليه علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكليتي الآداب والعلوم الاجتماعية:

الآداب:

اللغة العربية وآدابها، اللغة الإنجليزية وآدابها، التاريخ، الفلسفة، الإعلام.

العلوم الاجتماعية:

الاجتماع، الجغرافيا، علم النفس، العلوم السياسية.

الحولية الثالثة والعشرون

الرسالة الرابعة والتسعون بعد المئة

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

هيئة التحرير

الهيئة الاستشارية

قواعد النشر في

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

١ – حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية فصليه علمية محكمة تنشر مجموعة من الرسائل في الموضوعات المندرجة تحت اختصاص الأقسام العلمية بكليتي الآداب والعلوم الاجتماعية .

٢ – تنشر الحوليات البحوث والدراسات الأصلية باللغتين العربية والإنجليزية ، على ألا تتجاوز صفحات أي بحث ٢٠٠ صفحة ولا تقل عن ٦٠ صفحة .

٣ – تقدم البحوث **مطبوعة** على مسافتين من **ثلاث نسخ** على ورق مقاسه ٢١×٢٩ سم (A4) وعلى وجه واحد فقط ، وترقم جميع الصفحات بما في ذلك الجداول والصور التوضيحية ، ويراعى التصحيح الدقيق في النسخ جميعها . مع أهمية **إرسال القرص المرن الخاص بالبحث** .

٤ – يرفق الباحث ملخصاً باللغتين العربية والإنجليزية في حدود ١٠٠ « **مئة** » كلمة .

٥ – ترسم الخرائط والأشكال والرسوم بالحبر الصيني على ورق «شفاف» لتكون صالحة للطباعة . أما الصور الفوتوغرافية فتطبع على ورق لماع ، وإذا كانت ملونة فلابد من تقديم الشريحة الأصلية .

٦ – يراعى وضع خطوط متعرجة تحت العناوين الجانبية والألفاظ والعبارات التي يراد طبعها «ببنط» ثقيل .

٧ – تكتب في قائمة المصادر التفاصيل المتعلقة بكل مصنف من حيث اسم المؤلف كاملاً مبتدأ باللقب أو الاسم الأخير ، وعنوان المصنف تحت خط متعرج ، والأجزاء أو المجلدات ، واسم المحقق أو المترجم ، ورقم الطبعة ، ومكان النشر ثم اسم المطبعة أو دار النشر ، ثم سنة النشر ، ويتبع في قائمة المصادر النظام الآتي :

– الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير :

– تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٣ ، مصر ، دار المعارف ، د .ت .

– جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط٢ ، دار المعارف بمصر . د .ت .

– الشايب ، أحمد ، تاريخ النقائض في الشعر العربي ، ط٣ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٦ .

٨ - تثبت الهوامش على النحو التالي :

يذكر لقب المؤلف ثم الجزء ثم رقم الصفحة ، وإذا كان للمؤلف أكثر من مصنف في البحث فيذكر لقب المؤلف ثم عنوان المصنف ، ثم يليه الجزء ، ثم رقم الصفحة ، ويتبع في الحواشي النظام الآتي :

- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص ٩١ .
- الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج٢ ، ص ١٢٠ .
- الشايب ، ص ٤٠ .

٩ - توضع أرقام التوثيق بين قوسين وترتب متسلسلة حتى نهاية البحث ، فإذا انتهت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى عند الرقم (٦) يبدأ التوثيق في الصفحة الثانية بالرقم (٧) ، وهكذا .

١٠ - أصول البحوث التي تصل للحوليات لا ترد ولا تسترجع سواء أنشرت أم لم تنشر .

١١ - لا تقبل الحوليات البحوث التي سبق نشرها ، كما لا يجوز نشر البحوث في مجلات علمية أخرى بعد إقرار نشرها في الحوليات إلا بعد الحصول على إذن كتابي بذلك من رئيس تحرير الحوليات .

١٢ - تمنح إدارة الحوليات لمؤلف كل بحث منشور **خمسين** نسخة مجانية من بحثه .

١٣ - ترسل البحوث وجميع المراسلات الخاصة بالحوليات إلى :

رئيسة تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية
ص .ب : ١٧٣٧٠ الخالدية
رمز بريدي : 72454
الكويت

ISSN 1560-5248 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab
http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/AASS/
E-mail:aotfoa@kuc01.kuniv.edu.kw

ثمن العدد

الكويت	٥٠٠ فلس
البحرين	دينار واحد
قطر	١٠ ريالات
الإمارات	١٠ دراهم
السعودية	١٠ ريالات
عمان	ريال واحد

- ثمن النسخة في دول الوطن العربي ما يعادل دولاراً واحداً
- ثمن النسخة في الدول الأجنبية ما يعادل ثلاثة دولارات

الاشتراك السنوي لعدد (١٢) رسالة

سنوات الاشتراك	نوع الاشتراك	الكويت	الدول العربية	الدول الأجنبية
سنة واحدة	أفراد	٤ دنانير	٦ دنانير	٢٢ دولارا
	مؤسسات	٢٢ ديناراً	٢٢ ديناراً	٩٠ دولاراً
سنتان	أفراد	٧ دنانير	١٠ دنانير	٣٧ دولاراً
	مؤسسات	٣٧ ديناراً	٣٧ ديناراً	١٥٠ دولاراً
٣ سنوات	أفراد	١٠ دنانير	١٤ ديناراً	٥٢ دولاراً
	مؤسسات	٥٣ ديناراً	٥٢ ديناراً	٢١٠ دولارات
٤ سنوات	أفراد	١٣ ديناراً	١٨ ديناراً	٦٧ دولاراً
	مؤسسات	٦٧ ديناراً	٦٧ ديناراً	٢٧٠ دولاراً

جميع المراسلات الخاصة بشروط النشر أو أية استفسارات أخرى توجه إلى رئيس تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية
ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية - الكويت 72454 - ت: ٤٨١٠٣١٩ - فاكس: ٤٨١٠٣١٩
ISSN 1560- 5248 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-adab
E-mail: aotfoa@kuc01.kuniv.edu.kw
http://Pubcouncil.kuniv.edu.kw/aass

الرسالة رقم ١٩٤

علاقة نورمان صقلية

بالقوى الإسلامية في شمال إفريقية

خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي

د. جمعة محمد مصطفى الجندي

قسم التاريخ - كلية التربية

جامعة عين شمس

جمهورية مصر العربية

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية الثالثة والعشرون ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



المؤلف.

د. جمعة محمد مصطفى الجندي

- حصل على الدكتوراه في الأدب من جامعة عين شمس عام ١٩٨٥م بمرتبة الشرف الأولى .
- مدرس التاريخ الوسيط بكلية التربية جامعة عين شمس ، جمهورية مصر العربية .
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

من الأبحاث العلمية:

- حكم النورمان في صقلية ، ٤٨٤ - ٥٨٦ هـ/ ١٠٩١ - ١١٩٤م ، القاهرة ١٩٨٠م .
- حياة الفرنج ونظمهم في بلاد الشام ، خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، القاهرة ١٩٨٥م .

المحتوى

الملخص	١١
المقدمة	١٣
من النورمان؟ ومن أين وفدوا؟	١٥
دوافع الغزو النورماني لجزيرة صقلية	١٧
العلاقات بين النورمان وبني زيري في عهد رجار الأول	٢١
العلاقات بين النورمان وبني زيري في عهد رجار الثاني	٢٥
أسباب الحرب بين النورمان وبني زيري	٢٧
الحملة النورمانية على المهدية	٣٥
الحرب بين بني زيري وبني حماد	٣٩
استيلاء النورمان على جزيرة جربة	٤٥
حملات النورمان على ساحل إفريقية	٤٧
استيلاء النورمان على طرابلس الغرب	٤٩
استيلاء النورمان على المهدية	٥٣
مسلمو شمال إفريقية في ظل الحكم النورماني	٥٩
الصراع بين الموحدين وبني حماد	٦٥
الحرب بين الموحدين وبني هلال	٦٧
اضطراب الحكم النورماني في صقلية	٦٩
الحرب بين النورمان والفاطميين	٧١

معاهدة بنيفنتو ٧١
الصلح بين النورمان والبيزنطيين ٧٢
عبد المؤمن بن علي يسترد شمال إفريقية من النورمان ٧٣
حملات النورمان على مصر وجزر البليار ٨١
معاهدة سلام بين النورمان والموحدين ٨٣
الخاتمة ٨٥
الهوامش ٨٧
قائمة المصادر والمراجع ١٠٣
ملخص البحث باللغة الإنجليزية ١٢٦

ملخص

يعد الغزو النورماني لصقلية معلماً مهماً ، وتحولاً خطيراً في السيادة على حوض المتوسط ؛ فلصقلية موقع استراتيجي بين الساحلين الإفريقي والإيطالي ، وأهمية عظيمة في الصراع البحري بين قوى البحر المتوسط الموجودة في القرن السادس الهجري .

وقد حاول الزيريون بالتحالف مع المرابطين الوقوف في وجه النورمان الذين حاولوا مدّ نفوذهم إلى مدن شمال إفريقية التابعة للزيريين ، وعندما هاجم أسطول المرابطين سواحل صقلية وإيطاليا أخذ النورمان يحتلون موانئ بني زيري .

وقد ساعد النورمان في تلك الفترة توالي أعوام القحط والجفاف في إفريقية ، وإنشغال المرابطين بالموحدين الذين قضوا على دولة المرابطين عام ٥٣٩هـ/١١٤٦م ، إلاأن الموحدين تفرغوا للنورمان عام ٥٤٦هـ/١١٥١م ؛ إذ قام عبدالمؤمن بن علي الخليفة الموحدي الأول بعمليات برية وبحرية انتهت إلى توحيد المغرب العربي .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين . . أما بعد . .

فإن موضوع علاقات جزيرة صقلية بالقوى الإسلامية في شمال إفريقية خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) على قدر كبير من الأهمية ؛ لأن أحداث الجزيرة السياسية والاقتصادية والثقافية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بدول البحر المتوسط بصفة عامة وبدول شمال إفريقية بصفة خاصة تأثراً وتأثيراً . وفي هذا البحث نحاول أن نلقي الضوء على تلك العلاقات . وأرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

من النورمان؟ ومن أين وفدوا؟

كلمة Norman بمعنى نورماني هي المقابل الإنجليزي للكلمة الجرمانية Nordmann بمعنى شمالي ، فالنورمان يقصد بهم الشماليون Northmen[(١)] ، ويطلق هذا الاسم على مجموعة الشعوب التي سكنت شبة جزيرة إسكندناوة وحوض البحر البلطي . وهم والجرمان من الجنس النوردي سواء ، غير أنهم على خلاف الجرمان لم يتأثروا بالمؤثرات اللاتينية ، بل ظلوا بعيدين عنها بحكم وضعهم الجغرافي بأقصى الشمال الغربي من أوربا ، وهو الوضع الذي جاءت منه تسميتهم[(٢)] . وقد أطلق المعاصرون على أولئك الشماليين اسم الفيكنج Vikings وهو اسم مشتق من كلمة Vike بمعنى خليج أو فيورد ، ومن ثم عرفوهم باسم سكان الفيوردات ، وهي الظاهرة التي تميزت بها شواطئ شبه جزيرة إسكندناوة[(٣)] ، وقد ورد ذكر الشماليين في المصادر العربية باسم الأردمانيين[(٤)] ، وأحياناً المجوس[(٥)] . والتسمية الأولى محرفة من لفظ النوردمانيين ، وفقاً لعادة الأندلسيين في قلب النون إلى همزة . أما الثانية فقد أطلقها المسلمون عليهم لأنهم كانوا يشعلون النار في كل مكان يحلون فيه مما جعل المسلمين يعتقدون أنهم يعبدون النار شأنهم في ذلك شأن الزرادشتية والمجوس[(٦)] .

وينقسم الشماليون إلى ثلاث مجموعات : السويديين والنرويجيين والدنمركيين . وكان للظروف الجغرافية وغيرها أثر في الوجهة التي قصدتها كل مجموعة من هذه الثلاث في نشاطها التجاري أو الحربي[(٧)] . ويعنينا منهم الدنمركيون الذين هاجموا سواحل المسلمين في الأندلس والمغرب لأول مرة في ذي الحجة سنة ٢٢٩ هـ (أغسطس ٨٤٤م) أيام عبد الرحمن الأوسط (الثاني) ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ (٨٢٢ - ٨٥٣م) .

وفي بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) استوطنت جماعة من

الشـمـاليين منطقـة في شـمـال غـربي فـرنسـا حـملت اسـمـهم (نـورمـاندي Normandie, Normandia, Normandy) حـصـلوا عليـهـا من شـارل (الثـالث) الملقب البسيط أو الأبله(٨) . بعد حروب ومفاوضات سنة ٢٩٩ هـ (٩١١م) .

دوافع الغزو النورماني لجزيرة صقلية

وحينما ظهر النورمان في إيطاليا في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، كانت المنطقة مقسمة إلى عدد من الوحدات السياسية تتنازع النفوذ فيها والسيطرة عليها عدة قوى أوربية كبرى . وقد ساعدت هذه الحالة من الفوضى السياسية وعدم الاستقرار التي أضحت فيها إيطاليا في تلك الحقبة على امتداد نفوذ النورمان إلى جنوبها ، حتى تمكنوا من تأسيس دولة قوية أسهمت بدور مهم في تاريخ حوض البحر المتوسط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي(٩) . ذلك أن النورمان أدركوا أن تدعيم سلطتهم في جنوب إيطاليا وإقامة دولة قوية لهم هناك يوجب عليهم أن يحتلوا جزيرة صقلية(١٠) ، ليس لكونها قريبة ولا يفصلها عن جنوب إيطاليا سوى مضيق مسيني Messina فحسب ، وإنما لكونها بأيدي المسلمين آنذاك(١١) . وهذا بطبيعة الحال يشكل مصدر خطر على ممتلكات النورمان في جنوب إيطاليا(١٢) .

ويجب ألا نفهم من ذلك أن دوافع الغزو النورماني لصقلية هي دوافع سياسية وعسكرية فقط ، بل يجب ألا نهمل العامل الاقتصادي وأهميته القصوى في هذا الشأن(١٣) . وإذا استعدنا ما ذكره الجغرافيون العرب من أقوال تخص حالتها الاقتصادية المزدهرة أيام الحكم العربي لها ، فإن ما ذكروه عن خصوبة تربتها وغناها بالثروات الزراعية والمعدنية يبرز أهميتها الاقتصادية بالنسبة للنورمان الفاتحين . فلقد كانت صقلية غنيمة مفضلة أكثر من أي بلد سبق للنورمان أن هاجموها ، إضافة إلى كونها عالماً جديداً للغزو أغنى من جنوب إيطاليا ذاته .

وكان لموقع صقلية التجاري المهم – ولأهميتها الاقتصادية عموماً – أثر في

جعلها محط أنظار العالم ، فوقوعها في وسط البحر المتوسط ساهم في إيجاد تسهيلات كبيرة لتجارة الشعوب التي تقع بلادها على هذا البحر . ولابد أن هذا الموقع التجاري المهم كان له أثره في تفكير النورمان في غزوها .

وعلى الرغم من المغريات الاقتصادية والاستراتيجية التي جذبت النورمان إلى صقلية ، فإن هناك مغريات أخرى لا تقل أهمية شجعت النورمان على مهاجمة صقلية واحتلالها ، ونقصد بذلك الانقسام الذي كان موجوداً بين المسلمين في صقلية قبيل الغزو النورماني لها وفي أثنائه[١٤] . إذ كان ما بين العرب والبربر من المنافسة ما يقودهما إلى الهلاك في صقلية كما كان يقودهما إليه في الأندلس[١٥] . كما ضعفت السلطة المركزية في صقلية ، وانقسمت بدورها إلى إمارات متناحرة واضطربت أحوالها و « **انفرد كل إنسان ببلد** »على حد تعبير أحد المؤرخين المعاصرين[١٦] . حتى إن أحد أمرائها وهو محمد بن إبراهيم المعروف بابن الثمنة عرض الجزيرة على النورمان في جنوب إيطاليا أملاً منه في أن يسلموها له بعد احتلالهم لها[١٧] . وفضلاً عن وجود تيار بين مسلمي صقلية يؤيد التدخل النورماني في الجزيرة ، فقد رحب وأيد هذا التدخل فئة من النصارى بصقلية الذين قدموا مساعدة لرجار الأول[١٨] أثناء محاولته الأولى لغزو الجزيرة[١٩] . وهكذا كان انقسام المسلمين في صقلية عاملاً مشجعاً على غزو النورمان لها ، وتم استيلاء النورمان عليها بدخولهم بلرم[٢٠] سنة ٤٦٤ هـ (١٠٧٢م) ، فأفل نجم المسلمين السياسي عن صقلية في تلك السنة .

وإن دام تأثيرهم الحضاري بعدها زمناً طويلاً بفضل دراية رجار الأول وخلفائه[٢١] .

وعلى الرغم من أن الغزو النورماني لجزيرة صقلية كان انتصاراً للنصارى

على المسلمين وقت ذاك فإنه من الصعوبة بمكان أن ننظر إليه كمبارزة بين الهلال والصليب . وذلك لأن النورمان كان همهم مصروفاً إلى النهب ، أكثر مما كان مصروفاً إلى الدفاع عن دينهم ، فتساوى اليونانيون والإيطاليون والمسلمون في نظرهم ، فصاروا يسلبون هؤلاء جميعاً بنشاط ، واعتبر النورمان صقلية وما جاورها من إيطاليا بلاداً مباركة يمكن الاغتناء فيها بسهولة . ولم ينشأ عن حماة الدين من النورمان سوى تخريب تلك البلاد بسرعة ، ولم يلبث أهلها أن اعترفوا بأن صداقة فرسان النورمان أشد وقراً من عداوة العرب ، فاستغاثوا بالبابا ليو التاسع[٢٢] لينقذهم من النورمان ، فلم يجد إنذار البابا للنورمان نفعاً ، فأرسل إلى قسطنطين التاسع[٢٣] إمبراطور الدولة البيزنطية كتاباً يدلنا على سوء معاملة جيش نصراني في ذلك الوقت لبلاد صديقة استولي عليها[٢٤] .

وقد استمر النورمان على اقتراف جرائم النهب والسلب عمداً في صقلية وجنوب إيطاليا ، ودام النزاع بين الحاكمين والمحكومين زمناً طويلاً فتعود الأهلون وصاروا يألفون ما يقع كل يوم من حوادث السلب والقتل التي قص المؤرخون كثيراً منها كما لو كان ذلك من الأحداث اليومية التي لا أهمية لها ؛ ومن ذلك أن فرسان النورمان كانوا يفاجئون الأديرة غير المحصنة فيسلبون كل ما فيها ويبقرون بطون رهبانها عن بكرة أبيهم خشية الفضيحة ، وأن الرهبان من ناحيتهم كانوا يتغافلون بين حين وآخر بعض أولئك الفرسان فينتقمون منهم أشد الانتقام ، وتاريخ اللاتين حافل بوصف أنباء تلك الضربات المتبادلة[٢٥] .

والحق أن رجار الأول هاجم صقلية لنفس الأسباب التي هاجم فيها إخوته جنوب إيطاليا ، فضلاً عن أن رجار الأول كان يرغب في إقامة دولة يكون هو زعيمها . أضف إلى ذلك أنه استخدم في عملية غزو صقلية المسلمين والنصارى لمصلحته . كما أن السياسة التي اتبعها إزاء السكان المقيمين في صقلية لم تظهر أية

تفرقة بين المسلمين والنصارى ، بل عامل السكان كلهم بنفس الطريقة[٢٦] . وهذا بدوره يدحض المسوغات التي يقدمها المؤرخون الذين مجدوا النورمان كأبطال وأنصار غيورين على العقيدة النصرانية الكاثوليكية[٢٧] .

وعلى كل حال فإن الغزو النورماني لجزيرة صقلية من المعالم المهمة في تاريخ القوى البحرية الأوربية ، وتحولاً خطيراً في السيادة عن حوض البحر المتوسط ، فصقلية بحكم موقعها الاستراتيجي بين الساحلين الإفريقي والإيطالي كانت لها أهميتها العظمى في الصراع البحري بين القوى السياسية الموجودة في هذا الحوض في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) .

وحسبنا أن نشير إلى أن النورمان قد استفادوا من موقع صقلية ، وعرفوا كيف يسودون البحرين التيراني Tyrrhenian والإدرياتي Adriatic ، ويحتلون عدداً من الجزر البحرية المهمة في الحوض الغربي من البحر المتوسط . وعلى ذلك فلا نبالغ إذا قلنا إن البحر المتوسط أصبح آنذاك بحيرة نورمانية تغدو فيه أساطيل صقلية دون أن يعترضها عائق ، إذا لجأت القوى البحرية الأخرى في تلك الجهات إلى سياسة الدفاع عن النفس وتجنب كل عمل من شأنه الاصطدام مع تلك القوة البحرية الهائلة .

العلاقات بين النورمان وبني زيري في عهد رجار الأول

ولقد كان من المتوقع بطبيعة الحال أن يحاول النورمان بعد ذلك أن يمدوا نفوذهم إلى مدن شمال إفريقية[٢٨] التابعة لبني زيري[٢٩] . ومما يستوجب الالتفات هنا أن بني زيري أصحاب إفريقية لم يتصدوا للنورمان ولم يقاوموهم عندما بدأوا في غزو صقلية ، فإن التفكير السياسي الذي جرى عليه الفاطميون جعلهم يفصلون بين صقلية والقاعدة الإسلامية الوحيدة التي كان يمكن الدفاع عنها منها وهي إفريقية ، فكانت صقلية ولاية منفصلة تابعة مباشرة للخليفة الفاطمي في مصر ، وكذلك كانت طرابلس واجدابية وسرت وما إليها ، والفاطميون هم الذين ولوا على صقلية حسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي ، وكان الفاطميون عاجزين عن تأييد أبنائه من بعده ، ولهذا فقد اضطرب الأمر عليهم وساءت أحوال صقلية ، وعندما أخذ النورمان في غزوها لم يحرك بنو زيري ساكناً إلا بعد فوات الفرصة ، وكان همهم بعد ذلك أن يعيشوا في سلام مع وجود هذا الخطر الجديد[٣٠] .

ويمكن القول إنه كانت بين الطرفين علاقات ودية وعلى الأخص في السنوات الأخيرة من حياة رجار الأول ، وهذا ما نفهمه بوضوح مما حدث في سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠م) إذ إنه عندما رأى رجار الأول أثناء حصاره طبرمين[٣١] ، أربع عشرة سفينة إفريقية تقترب من صقلية ، أرسل إلى قائد هذه السفن رسالة يسأله فيها عن الغرض الذي كان يرمي إليه من وراء هذه الغزوة ، فكان الجواب أنه ليست لديه أية أغراض حربية . وفي الواقع أن هذا الأسطول الصغير لم يلبث أن عاد أدراجه[٣٢] .

وفضلاً عن ذلك فإن رجار الأول لم يشترك في سنة ٤٨١ هـ (١٠٨٨م)

في حركة إنزال الجنود في زويلة والمهدية التي اشتركت فيها كل من بيشة Pisa وجنوة Genova وأمالفى Amalfi والتي كانت تهدف إلى نهب التجارة الإسلامية ومدن المسلمين الساحلية(٣٣) .

ويوقفنا ابن الأثير على أسباب هذا الهجوم ويعلق عليه بقوله : « في هذه السنة (٤٨١ هـ) فتح الروم مدينة زويلة من إفريقية وهي بقرب المهدية ، وسبب ذلك أن الأمير تميم بن المعز بن باديس صاحبها أكثر غزو بلادهم في البحر فخربها وشتت أهلها فاجتمعوا من كل جهة واتفقوا على إنشاء الشواني(٣٤) لغزو المهدية ووصل معهم البيشانيون والجنويون »(٣٥) .

وكذلك لم يشترك رجار الأول في أي عمل آخر من الأعمال الحربية التي قام بها الإيطاليون ضد تميم بن المعز عندما أعادوا الكرة مرة أخرى في سنة ٤٩٨ هـ (١٠٤٤م)(٣٦) . ويساعد على فهم ما نحن بصدده أن نذكر هنا عبارة لابن الأثير والتي يلقي الضوء فيها على سياسة رجار الأول تجاه إفريقية آنذاك ، إذ يقول : إن الفرنج خرجوا في سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٦م) إلى بلاد الشام وكان سبب خروجهم أن « ملكهم بردويل جمع جمعاً كثيراً من الفرنج وكان نسيب رجار الفرنجي الذي ملك صقلية ، فأرسل إلى رجار يقول له : قد جمعت جمعاً كثيراً ، وأنا واصل إليك وسائر من عندك إلى إفريقية أفتحها وأكون مجاوراً لك ؛ فجمع رجار أصحابه واستشارهم في ذلك فقالوا : وحق الإنجيل هذا جيد لنا ولهم ، وتصبح البلاد بلاداً نصرانية . فرفع رجله وحبق حبقة عظيمة وقال : وحق ديني هذه خير من كلامكم! قالوا : وكيف ذلك؟ قال : إذا وصلوا إلي أحتاج إلى كلفة كثيرة ومراكب تحملهم إلى إفريقية وعساكر من عندي أيضاً ، فإن فتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤونة لهم من صقلية ، وينقطع عني ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة ، وإن لم يفلحوا رجعوا إلى بلادي ، وتأذيت بهم ويقول

تميم[٣٧] غدرت بي ، ونقضت عهدي ، وتنقطع الوصلة والأسفار بيننا ، وبلاد إفريقية باقية لنا ، متى وجدنا قوة أخذناها . وأحضر رسوله وقال له : إذا عزمتم على جهاد المسلمين ، فأفضل ذلك فتح بيت المقدس تخلصونه من أيديهم ويكون لكم الفخر ، وأما إفريقية فبيني وبين أهلها إيمان وعهود ، فتجهزوا وخرجوا إلى الشام »[٣٨] .

وقد يبدو في رواية ابن الأثير بعض المبالغة ، ولكنها على أي حال تبين لنا أن رجار الأول لم يكن يريد التعرض لأي خطر أو مجازفة ، كما لم يكن في مقدوره أن يقدم السفن اللازمة لأنها كانت ضرورية له لمواجهة أي خطر محتمل . كذلك لم تكن لتسمح له بأن يكون مطمئناً كل الاطمئنان ، ولكنه كان قبل كل شيء رجلاً عملياً يفكر في هذا المشروع من الناحية الاقتصادية ؛ لأنه إذا نجح الإفرنج في مشروعهم ، فإنه في حالة الانتظار تنتقل التجارة بأكملها من أيديهم إلى أيدي المنتصرين . وفضلاً عن ذلك كله ، فإنه كان قبل كل شيء يريد الاحتفاظ بصداقة تميم واحترام المعاهدة التي يحتمل أن يكون قد عقدها معه ولم يرد أن يظهر أمامه بمظهر الرجل الذي لا يحترم وعوده[٣٩] .

العلاقات بين النورمان وبني زيري في عهد رجار الثاني

ومن الراجح أن العلاقات الودية بين النورمان وبني زيري استمرت فترة بعد وفاة رجار الأول في سنة ٤٩٥ هـ (١١٠١م) ، فبينما تشير المصادر إلى أن يحيى بن تميم[٤٠] كان طول مدة حكمه في حروب متصلة مع جمهوريات البحر التيراني ، وأن سفنه كانت تهاجم بين الفينة والفينة سواحل سردانية Sardegna وميناء جنوة وبلاد بروفانس Provenza فإنها لا تشير إلى أي هجوم من هذا النوع من صقلية على الرغم من أن ذلك كان ميسوراً لها .

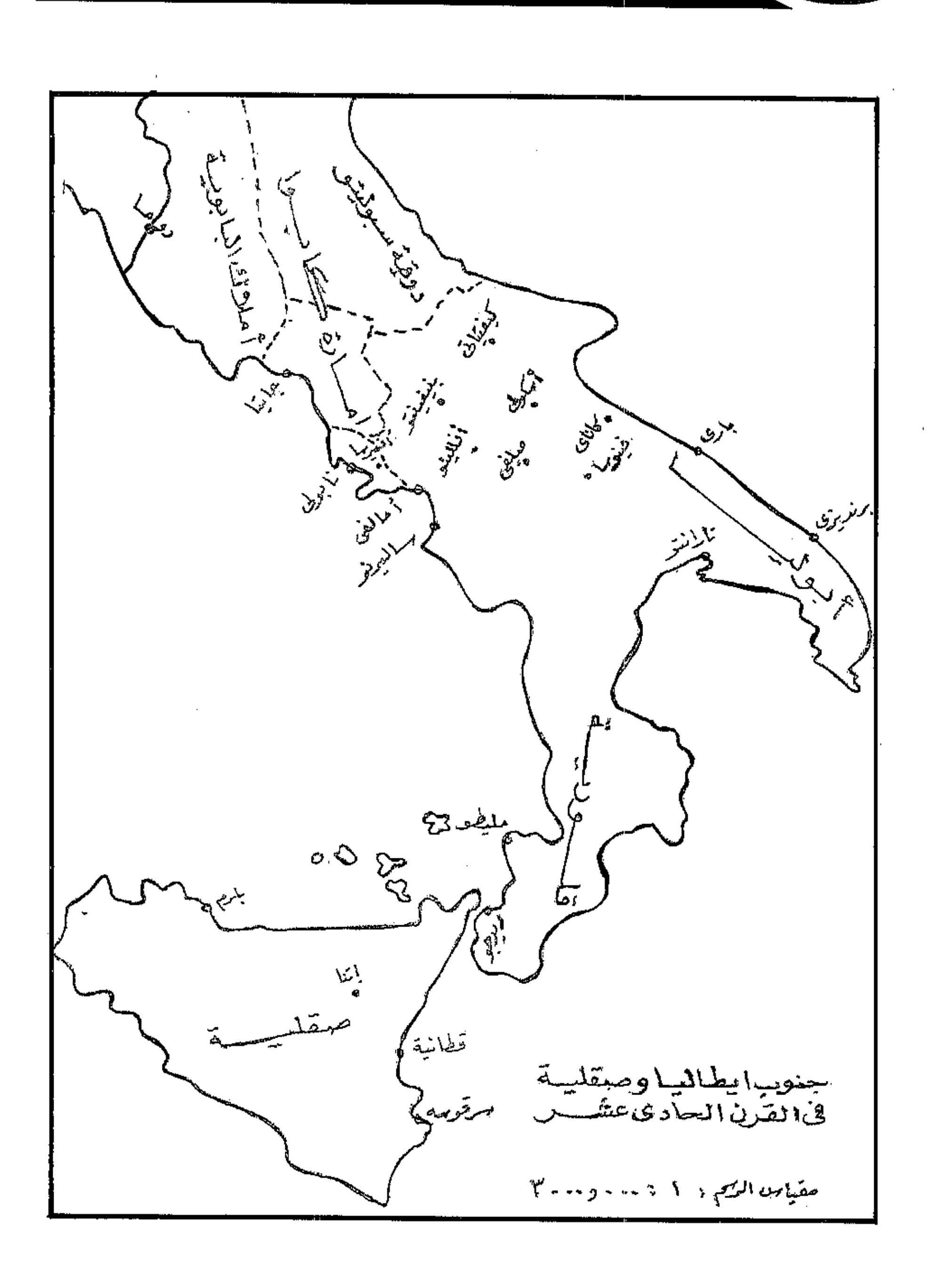
يدلنا ذلك بكل جلاء على وجود معاهدة صداقة وتعاون بين النورمان وبني زيري[٤١] .

وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية لم توضح تفاصيل المعاهدات التي عقدت بين النورمان وبني زيري فإنه يمكن القول إن بني زيري قد ارتبطوا بمعاهدات مع النورمان ، اعترفوا لهم فيها بملكية صقلية[٤٢] ، ووعدوا بوقف هجماتهم على ممتلكات النورمان في صقلية وجنوب إيطاليا لقاء ما يرسله النورمان من القمح إلى المهدية ، مما أعطى صقلية الحماية من هجمات المسلمين كما أوجد لها سوقاً رائجة للقمح[٤٣] . ونستطيع أن نقول بشيء من اليقين إن هذه الاتفاقيات ظلت سارية المفعول في عهد تميم بن المعز وولده يحيى ، ثم في عهد علي بن يحيى ، غير أن المنافسات التجارية بين صقلية والمهدية أدت في النهاية إلى نقضها[٤٤] ، وبالتالي قيام الحرب بين الطرفين .

أسباب الحرب بين النورمان وبني زيري

ولكن يجب ألا نفهم من ذلك أن الحرب بين النورمان وبني زيري كانت بسبب المنافسات التجارية بين الفريقين فقط ، بل يجب ألا نهمل العوامل الأخرى وبصفة خاصة العامل السياسي وأهميته القصوى في هذا الشأن ، فقد أدرك النورمان خطورة تواجد قوى بحرية إسلامية معادية لهم في شمال إفريقية التي لم يكن يفصلها عن جزيرة صقلية غير مضيق صقلية الواقع بين طرفي الجزيرة الجنوبي وشمال إفريقية ، ومن ثم كان من الممكن في اعتقاد النورمان أن ينجح المسلمون في شمال إفريقية في بسط نفوذهم ، مرة أخرى ، على صقلية وجنوب إيطاليا .

ولا مراء في أن كلا من صقلية وشمالي إفريقية تعد منطقة أمان للأخرى ، وامتداداً لها في الجوار ، كما أنهما يمثلان معاً موقعاً استراتيجياً على جانب كبير من الأهمية في البحر المتوسط . ذلك أن جنوب إيطاليا وصقلية وشمال إفريقية تقسم البحر المتوسط إلى حوضين ، الحوض الشرقي وهو ما بين هذه الأقاليم الثلاثة وسواحل بلاد الشام وآسيا الصغرى ، والحوض الغربي وهو ما بين تلك الثلاثة وشبه جزيرة إيبريا . وللحوض الغربي بابان ، الأول مضيق جبل طارق ، ويفصل أوربا عن قارة إفريقية بمسافة اثني عشر ميلاً تقريباً[٤٥] . والباب الآخر مضيق صقلية الذي يفصلها عن إفريقية ويبلغ اتساعه ١٢٠ كيلو متراً تقريباً[٤٦] . ومن خصائص هذين البابين أن الدولة التي تسيطر على ضفة أحدهما لابد أن تحاول الاستيلاء على الضفة الأخرى . ومن هنا كان وجود المسلمين في شمال إفريقية يمثل من غير شك تهديداً مباشراً لممتلكات النورمان في صقلية وجنوب إيطاليا .


روما
جايتا
نابولي
أمالفي
ساليرنو
باري
برنديزي
تارانتو
صقلية
إتنا
قطانية
سرقوسه
جنوب ايطاليا وصقلية
في القرن الحادي عشر
مقياس الرسم : ١ : ٣٠٠٠٠٠٠

وعلى ذلك يمكن القول بأن اتجاه الأسطول النورماني إلى شمال إفريقية يعد عملاً متمماً لسياسة النورمان البحرية الخاصة بالسيادة على البحر المتوسط بالإضافة إلى تأمين ممتلكاتهم في صقلية وجنوب إيطاليا[٤٧] . وما يجب التنبه له أن صقلية صارت هدفاً لهجمات المسلمين البحرية منذ استيلاء النورمان عليها ، فأرسلوا إليها أساطيلهم لتدمير قواعد النورمان فيها ؛ إذ إن المسلمين لم ينسوا ضياع صقلية من أيديهم . تماماً كما حدث بعد ذلك بأربعة قرون بالنسبة لمراكب الأسبان وسواحل شبه جزيرة إيبريا على أيدي النازحين من الأندلسيين . فكما أن الأسبان سعوا أوائل القرن السادس عشر الميلادي إلى الاستيلاء على موانئ الشمال الإفريقي أملاً في وقف هجمات هؤلاء النازحين ، كذلك فعل النورمان في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي بالنسبة لموانئ إفريقية[٤٨] .

ولنضف إلى هذا سبباً على جانب كبير من الأهمية وهو أن النورمان الطامعين في إفريقية كانت تدفعهم إلى ذلك أيضاً عوامل اقتصادية[٤٩] ، فصقلية وإفريقية ازدهرتا على مر العصور حينما كانت تضمهما دولة واحدة ، كما حدث أيام القرطاجيين والرومان والبيزنطيين والعرب ، ذلك أن صقلية كانت المصدر الرئيسي للقمح بالنسبة لإفريقية ولاسيما في سنوات القحط والجفاف ، كما أنها كانت تستورد من إفريقية زيت الزيتون وذهب السودان الغربي[٥٠] . وبالإضافة إلى ذلك فقد أراد النورمان أن يفرضوا سلطانهم على مدن الساحل الإفريقي حتى يكون لهم بالتالي الإشراف على طرق التجارة في البحر المتوسط[٥١] .

وهناك شيء آخر لا نظنه بعيداً عن الحقيقة ألا وهو الدافع الشخصي في قيام الحرب بين النورمان وبني زيري في شمال إفريقية . فعندما توفي الكونت رجار الأول سنة ٤٩٥ هـ (١١٠١م) خلف وراءه ولدين هما سيمون Simone ورجار ، تحت وصاية أمهما أديليدا Adelaide . ولم يلبث سيمون أن توفي في

عام ٤٩٩ هـ (١١٠٥م) وعمره اثنتا عشرة سنة ، تاركاً شقيقه الأصغر ، رجار البالغ من العمر آنذاك عشر سنوات ، وبقيت أمه أديليدا تدير الحكم وصية على ابنها رجار هذا ، والذي سيعرف فيما بعد باسم رجار الثاني(٥٢) حتى عام ٥٠٦ هـ (١١١٢م) حيث انتهت الوصاية في هذا العام . وعندئذ بدأ رجار الثاني يمارس سلطاته بوصفه كونت صقلية(٥٣) .

وبظهور رجار الثاني يبدأ العصر الذهبي للنورمان في صقلية وجنوب إيطاليا ، إذ كان صاحب شخصية قوية ، ورجل دولة من الطراز الأول ، فضلاً عن أنه كان أغنى أمراء عصره ، نتيجة ثراء صقلية ورخائها . ويبدو أن مطامع رجار الثاني كانت لا تقل عن ثروته وقوته ، حيث حمل رجار الثاني كل مطامع آل هوتفيل وتطلعاتهم(٥٤) .ذلك أن رجار الثاني أخذ يتطلع إلى جعل صقلية سيدة التجارة في البحر المتوسط ، وقوة عالمية تمكنه من فرض سيادته وسلطانه على ذلك البحر(٥٥) ؛ ولذلك أخذ رجار الثاني يفكر في احتلال شمال إفريقية .

وفي الوقت الذي ثبت فيه النورمان أقدامهم في صقلية وجنوب إيطاليا وأخذوا يفكرون في بسط نفوذهم على إفريقية كذلك ، فإن إفريقية كانت قد فقدت وحدتها السياسية ، كما فسدت حياتها الاجتماعية ، وساءت أحوالها الاقتصادية . ولعل السبب في ذلك يرجع إلى حروب بني زيري ومنازعاتهم المستمرة مع أبناء عمومتهم من بني حماد في القلعة وبجاية ، وكذلك حروبهم ضد قبائل بني هلال وبني سليم(٥٦) . فعندما تولى المعز بن باديس إمارة إفريقية ساءت العلاقة بينه وبين الخليفة المستنصر بالله الفاطمي وتوترت فيما يقرب من سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨م) توتراً أدى في النهاية إلى قيام المعز بإعلان انفصاله عن الخلافة الفاطمية . وكان انتقام الخليفة الفاطمي شديداً ، فقد سير قبائل بني هلال وبني سليم إلى إفريقية وأطلق لهم العنان في استباحة البلاد التونسية ، وما كان

هؤلاء يصلون إلى نواحي إفريقية حتى عاثوا في البلاد فساداً وأكملوا خراب الديار ، وأتوا على عمرانها ، ووصلوا إلى القيروان واستباحوها ، وطمسوا معالمها ، ثم زحفوا إلى قابس وبونة ، واضطر المعز بن باديس إلى الانتقال إلى المهدية التي اتخذها مقراً له ، كما اضطر بنو حماد إلى الانتقال غرباً إلى بجاية(٥٧) .

ولم يقف عمل البدو عند حد تخريب مراكز الزراعة والتجارة والصناعة في إفريقية ، بل تجاوزوا ذلك إلى قطع طريقين مهمين من طرق القوافل الواصلة عبر الصحراء بين المغرب وبين السودان والنيجر ، ونتج عن ذلك وقف تدفق الذهب لذلك القسم من بلاد المغرب(٥٨) ولا جدال في أن تحول طرق القوافل التجارية عبر الصحراء إلى المغرب الأقصى بعد قيام دولة المرابطين(٥٩) وإلى بجاية وكذلك إلى مصر قد أدى إلى فقدان إفريقية جانباً كبيراً من مصادر دخلها(٦٠) .

وقد انتهز رجار الثاني ضعف بني زيري وانشغال المرابطين بمواجهة قيام الموحدين(٦١) عليهم ، واضمحلال الدولة الفاطمية في مصر ، وقيام الحروب الصليبية(٦٢) ، فبدأ في تنفيذ سياسته تجاه إفريقية ، وهي السياسة التي أراد بها أن يستولي على موانئ الساحل الإفريقي بأكملها . ومع أن هذه السياسة التوسعية كانت تنطوي على قدر كبير من المخاطرة ، إذ إنها كانت تعني التخلي عن مشروع والده الخاص بقيام تجارة سلمية مع مدن الشمال الإفريقي ، إلا أنها كانت دون شك مخاطرة مدروسة ، إذ انطوت على اعتراف سياسي بأن كثيراً من هذه المدن كانت ، في بعض السنوات ، تعتمد في وارداتها من المواد الغذائية على صقلية(٦٣) .

وعلى كل حال ، فإن المنازعات الداخلية بين العناصر الوطنية في شمال إفريقية وقتذاك أتاحت للنورمان الفرصة التي كانوا يتطلعون إليها ففي أثناء

الفوضى التي سادت المنطقة على أثر قدوم قبائل بني هلال ، قامت في قابس إمارة عربية صغيرة هي إمارة بني جامع . وقد قبل الأمير الزيري يحيى بن تميم التعايش معها[٦٤] ، وكان يحتمل لرافع بن مكن حاكمها أموراً منها : أن رافعاً أنشأ بساحل قابس سفينة أعدها لما يعرض له في البحر من الأمر ، فلم يبد يحيى إنكاراً لذلك بل أعانه عليها وأمده بما احتاجه إليه فيها ، فلما تولى علي بن يحيى ابن تميم الحكم (٥٠٩ - ٥١٥ هـ / ١١١٦ - ١١٢١م) عارضه في هذا المشروع ، وأنفذ أسطولاً إلى ساحل قابس لمنع هذه السفينة من الإقلاع وأخذها إن أقلعت ، فاستنجد رافع برجار الثاني الذي أرسل أسطولاً لمساعدته ، نظراً للعلاقات التجارية بينهما . « **فلما بلغ ذلك علياً جمع رجال دولته واستشارهم في ذلك فأشاروا عليه باسترجاع أسطوله والتغاضي عن رافع في هذه المسألة ، حفظاً لما بينه وبين رجار الثاني من المصالحة . فرأى علي في ذلك وهناً عليه ، فأمر بقية أسطوله فأخرج في الحين ووجهه إلى قابس ، فوجد النورمان قد نزلوا من قطعهم لضيافة أعدها رافع لهم ، فلم يروعهم إلا وصول الأسطول ، فبادروا إلى قطعهم فغلبهم المسلمون على أكثرها وقتلوا منهم جماعة كبيرة** »[٦٥] .

كان لابد من أن تظهر آثار هذه الحادثة على العلاقات بين الطرفين . فبدأ علي بن يحيى منذ لك الوقت يدعم أسطوله ويقويه استعداداً لقتال النورمان ، فأنشأ عشرة مراكب حربية وثلاثين غراباً[٦٦] ، وشحنها بالرجال والعدد والنفط . ولما كان يدرك تماماً عدم قدرته على مواجهة رجار الثاني ، فقد كاتب المرابطين بمراكش وطلب إلى أميرهم علي بن يوسف بن تاشفين الاجتماع معه على مهاجمة صقلية ، فلما علم رجار الثاني بذلك كفّ عن بعض ما كان يفعله[٦٧] . والحقيقة أن الملك النورماني كثيراً ما كان يعمل حساباً لقوة المرابطين فيعدل عن خططه العدوانية ضد بني زيري . ولعل مما يلفت النظر في هذا الصدد أن استيلاء

رجار الثاني على المهدية لم يتم إلا سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨م) أي بعد سقوط دولة المرابطين بقليل .

وعلى هذا النحو أخذت هوة الخلاف تتسع بين الطرفين وأخذ كل منهما يتحدى الأخر . ولنضرب لذلك مثلاً فنقول : إن علي بن يحيى استولى سنة ٥١٢ هـ (١١١٨م) على أموال رجار الثاني في المهدية ، وألقى القبض على أتباعه ، ووضعهم في السجن ، وهنا غضب رجار الثاني ، واحتج بشدة على هذا التصرف من جانب الأمير الزيري . ونستطيع أن نقرأ هذا في كتاب مؤلف موثوق به كل الثقة ، وهو تاريخ ابن عذاري ، الذي قال عندما تحدث عن حوادث السنة المذكورة آنفاً ما نصه : « **وفيها وصل إلى الأمير علي بن يحيى من قبل صاحب صقلية رجار ، رسول منه يلتمس تجديد العقود وتأكيد العهود ، ويطلب أموالاً كانت له موقوفة بالمهدية ، وذلك بعنف وغلظة . فرد على رسوله دون جواب وجبهه بالقول . فتزايدت الوحشة بينه وبين رجار فأوسع شراً ، وحاول بعد ذلك مكراً** »(٦٨) . ولم يكن التماس رجار الثاني « **تجديد العقود وتأكيد العهود** » ، في واقع الأمر ، إلا ذراً للرماد ، إذ إنه من المعروف أن رجار الثاني كان يخطط لاحتلال المهدية نظراً لأهميتها من الناحيتين الاقتصادية والاستراتيجية ؛ ولذلك تجاهل الأمير الزيري هذا العرض النورماني وأخذ يستعد للدفاع عن بلاده(٦٩) .

ولما مات علي بن يحيى في سنة ٥١٥ هـ (١١٢١م) لم يكن في حالة حرب ولا في حالة صلح مع رجار الثاني . ولكن الأحوال كانت تنبئ بأنه لو عاش لقام بحملة كبيرة على صقلية(٧٠) . وبعد وفاته خلفه في الحكم ولده الحسن (٥١٥ - ٥٦٣ هـ / ١١٢١ - ١١٦٧م) ، الذي ظهرت في عهده أزمة جديدة بين النورمان وبني زيري ، ويرجع السبب في ذلك أن المرابطين حاولوا وقف أطماع النورمان في ممتلكات بني زيري بإفريقية(٧١) ، فأرسلوا أسطولهم

بقيادة ابن ميمون إلى البحر التيراني في سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢م) ، وانقضوا على نقطرة[٧٢] في مقاطعة قلورية وسبوا نساءها وأطفالها وقتلوا شيوخها ، وغنموا جميع ما وجدوه فيها . فلم يشك رجار الثاني أن المحرك لذلك والمسبب له هو أمير إفريقية الحسن بن علي لما تقدم بينه وبين أبيه من الخلاف[٧٣] ، « فجد في تعمير الشواني والمراكب وحشد فأكثر ، ومنع أهالي صقلية من السفر إلى إفريقية وغيرها من بلاد المغرب »(٧٤) . وبالإضافة إلى ذلك فإن رجار الثاني عمل على إثارة النصارى من رعاياه للقيام بحملة على بني زيري « فاستنفر أهل بلاد الروم قاطبة ، فالتأم له ما لم يعهد مثله كثرة »[٧٥] . فلم علم الحسن بن علي بذلك «أمر بتشييد الأسوار ، واتخاذ الأسلحة ، وحشد القبائل ، واستقدام العرب ، فجاءت الحشود من كل جهة ومكان ، والناس متأهبون لما يطرقهم منهم »[٧٦] .

الحملة النورمانية على المهدية

وهكذا تمت الاستعدادات من جانب رجار الثاني لمهاجمة المهدية بأسطول ضخم قوامه « نحو ثلاثمائة مركب (تحمل) على ظهرها ثلاثين ألف راكب وزهاء ألف فارس » يقودهم عبد الرحمن النصراني(٧٧) ، وجرجي بن ميخائيل الأنطاكي(٧٨) وقد قوبل هذا العمل من جانب الحسن بن علي باستعدادات عظيمة وإعلان الجهاد(٧٩) . وعلى أية حال أبحر هذا الأسطول من مرسى علي(٨٠) في اتجاه إفريقية ، وحاول النورمان إخفاء أنباء عن تحرك أسطولهم بشتى الوسائل ، حتى يفاجئوا المهدية ، فيسهل الاستيلاء عليها ، ولكنهم لم ينجحوا في تدبيرهم هذا إذ إن إحدى سفنهم دفعتها الرياح إلى ساحل إفريقية ، فانكشفت الخطة ، وتأهب الحسن بن علي لمواجهة الأسطول الصقلي(٨١) .

فلما كان يوم السبت لخمس بقين من جمادى الأولى سنة ٥١٧ هـ (١١٢٣م) اقترب الأسطول الصقلي من ساحل إفريقية فاستولى على جزيرة قوصرة(٨٢) ، ثم احتل جزيرة الأحاسي(٨٣) ، وقصر الديماس(٨٤) ، بإعانة بعض الأعراب(٨٥) . ومن هناك زحفوا في البر بالرجال والخيل إلى المهدية ؛ وعندئذ اجتمع المسلمون ، من العرب والبربر ، وخرجوا من المدينة لقتالهم ، فانهزم النورمان وتراجعوا إلى سفنهم ، واسترد المسلمون الأحاسي ، وغنموا غنائم هائلة ، ثم حاصروا الديماس ، فاضطر النورمان إلى طلب الأمان من الحسن بن علي ، ولكن العرب الذين اشتركوا معه في القتال رفضوا ذلك ، فخرج النورمان في منتصف جمادى الآخرة من الديماس « فتخطفتهم سيوف الأعراب ، فقتلوا عن آخرهم »(٨٦) .

والواقع أن هزيمة النورمان أمام بني زيري إنما ترجع فيما يقال إلى عدم التعاون بين قوات النورمان البحرية والبرية في قتال المسلمين . وكذلك فشل

الأسطول الصقلي في عملية إنزال الجنود إلى البر ، تحت وطأة الهجوم المضاد الذي شنه العرب والبربر على النورمان : على أن الشيء الذي لا يمكن إغفاله أن القوات النورمانية المعتدية كان ينقصها الحماس وروح القتال ، بينما كان الطرف الآخر يعرف جيداً ما يدافع عنه[٨٧] .

أضف إلى ذلك أن الأسطول الصقلي كان قد واجه قبل المعركة ظروفاً جوية صعبة أدت إلى تشتت شمله ، وغرق بعض قطعه ، وبالتالي فإن المراكب التي قدر لها الوصول إلى المهدية ، كانت ضعيفة الأثر ، ولم يعد إلى صقلية من مراكب النورمان الثلاثمائة سوى مئة مركب[٨٨] .

وهكذا فشلت الحملة النورمانية على المهدية في تحقيق أهدافها ، وكان نصيبها الإخفاق التام ، وهو الأمر الذي صوره لنا شاعر صقلية الفحل ، عبد الجبار بن حمديس ، في إحدى قصائده التي أشاد فيها بانتصارات المجاهدين المسلمين على النورمان إذ قال مخاطباً آخر ملوك صنهاجة الحسن بن علي[٨٩] :

أبى الله إلا أن يكون لك النصرُ وأن يهدم الإيمانُ ما شاده الكفرُ

وقال أيضاً :

هناك شفى الإسلام منهم غليله بطعن له بتْر وضرب له هبْـر
وكانوا رأوا مهديتيك وفيهمـا لعز الهدى أمر فهالهم الأمـر

ومنها :

فما للعلاج امتد في الغي جهلهم أما كان فيهم من لبيب له حجر
فكم قسموا في الظن أميال أرضنا ولم يطؤوا منها مكاناً هو الشبر

ومنها وقد ذكر أنه كان بجزيرة قوصرة صرح مؤلف من رؤوس قتلى

الحرب :

وقوصرة فيها رؤوس جدودهم   إلى يوم ملآن بأفلاقها العفر

فلو تسأل الريح المعاطس منهم   لأخبرها عن كل شلو بها دفر

ولما أقلع الأسطول النورماني إلى صقلية خائباً خاسراً أدرك رجار الثاني صعوبة احتلال المهدية في ذلك الوقت ، فأرجأ هذا الأمر إلى فرصة مواتية . وأخذ في إعداد الترتيبات لحملة أخرى على إفريقية .

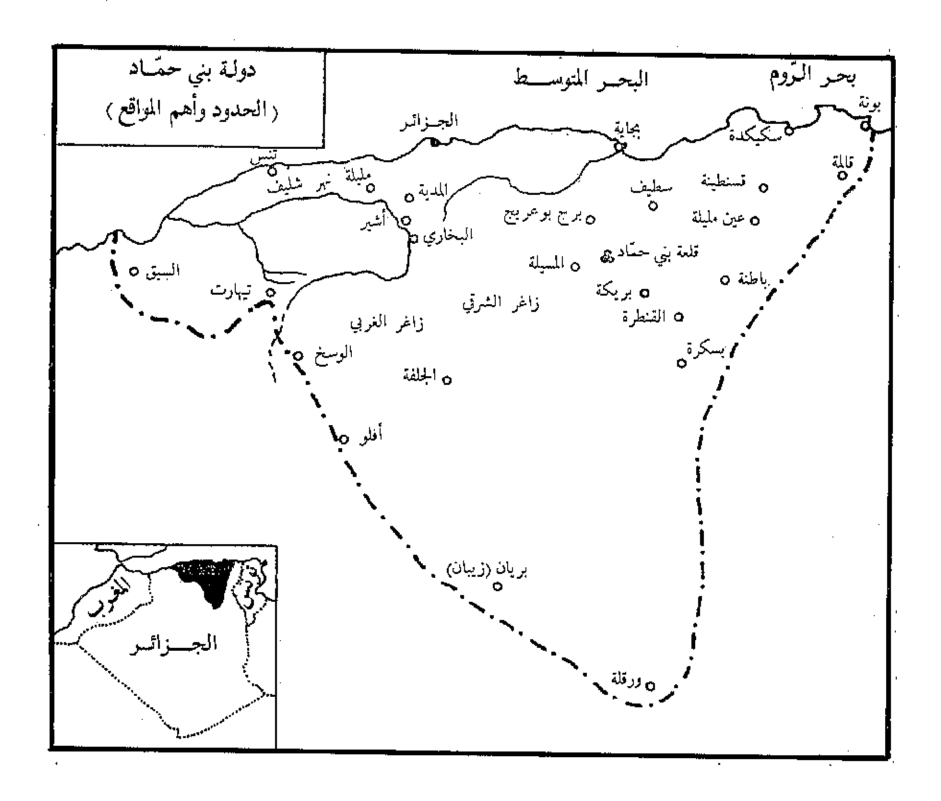
وفي سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧م) غزا بنو ميمون أراضي النورمان للمرة الثانية فهاجموا بطي Patti وهددوا قطانية Catania ، وأنزلوا جنوداً إلى البر لفترة قصيرة قرب سرقوسة Syracuse ، حيث ظفروا بالغنائم والأسرى[٩٠] . وعلى الرغم من أن معظم المؤرخين ينسبون هذه الهجمات إلى بني ميمون إلا أن المؤرخ الصليبي وليم الصوري يذكر أن الهجمات على هذه المناطق كان مصدرها الساحل الإفريقي[٩١] . ولمواجهة المرابطين ، اضطر رجار الثاني إلى العمل على التحالف مع ريمون الثالث كونت برشلونة[٩٢] .

وفي غضون هذه الفترة فإن سياسة رجار الثاني تجاه المسلمين في مدن الساحل الإفريقي كانت تقوم على الإفادة من منازعاتهم وخلافاتهم الداخلية ، ولذا فإنه كان يهادن بعض أمرائهم دون بعضهم الآخر حتى تتوافر له حرية الحركة ضدهم جميعاً ، والأدلة على ذلك وفيرة في مختلف المراجع المعاصرة . ومن أمثلة ذلك أن رجار الثاني استفاد من الخلافات بين الحسن بن علي حاكم المهدية ، ويحيى بن العزيز بالله الحمادي حاكم بجاية .

الحرب بين بني زيري وبني حماد

كان يحيى متعالياً مغروراً تنقصه الرؤية الواعية للأجواء المحيطة به ، ويتجلى ذلك في انغماسه الواضح في ملذات يومه دون اهتمام بما يحيط به .

كما يتجلى في عدم وقوفه مع أبناء عمومته بني زيري في محنتهم الثانية التي واجهوا فيها النورمان ، بعد محنتهم الأولى مع القبائل العربية ، بل محاولته الدخول معهم في صدام مستغلاً ظروفهم الكئيبة دون أدنى تبصر بالعواقب الوخيمة لتصرفاته تلك(٩٣) .



(نقلاً عن : عويس ، المرجع السابق ، ص ٩٧)

لقد وجه يحيى قائده مطرف بن حمدون لحماية حدوده مع أبناء عمومته في المهدية ، ولانتهاز أية فرصة لضم مدن تونس الواقعة تحت سيطرة العرب أو سيطرة بني زيري . وكان بنو زيري في المهدية يعانون – كما ذكرنا – من النورمان الذين ملكوا جميع البلاد التي كانت تحت أيدي المسلمين في جنوب إيطاليا ، ويعملون منذ استيلائهم على صقلية ومالطة على الاستيلاء على المهدية والقضاء على بني زيري . وقد حاول الحسن بن علي الوقوف في وجههم وندب المرابطين ، كما ذكرنا ؛ لذلك نجح المرابطون في ضرب النورمان في سنة ٥١٦هـ (١١٢٢م) ، ولكن النورمان لم يلبثوا في العام التالي أن أغاروا على المهدية للانتقام ، لكنهم أبيدوا عن آخرهم وغنم المسلمون مراكبهم وأسلحتهم(٩٤) .

ومع ذلك لم يكف النورمان عن متابعة الغارة ، مما أضطر الحسن بن علي معه بعد أن يئس من وجود قوة إسلامية تعينه على مهادنة النورمان ، أن يتفق معهم . ووسط هذه الظروف الصعبة التي يتعرض لها بنو زيري ، تحرك يحيى لمهاجمتهم بدلاً من أن يمد لهم يد العون ، وتختلف الآراء حول أسباب تلك الغزوة ، فيرى ابن الأثير وابن عذارى أن القبائل العربية هي التي أوقعت بين الطرفين(٩٥) . ويضيف ابن الأثير أن الحقد الكامن في نفس يحيى ونفوس آبائه ، كان أحد الأسباب التي دفعته إلى غزو المهدية(٩٦) . وتتجه بعض الآراء اتجاهاً آخر ، فيرى ابن أبي دينار أن يحيى قصد « **أخذ المهدية ؛ لأنه سمع بالأمير الحسن أنه صالح الملك رجار الرومي صاحب صقلية ووقعت بينهم مهادنة** »(٩٧) .

والواقع أن الصراع بين النورمان وبني زيري كان على أشده في فترة طويلة سبقت محاولة الحسن الصلح منهم ، وكان لجوء الحسن بن علي إلى مداراتهم نوعاً من الاستسلام أملته عليه ظروف قاهرة ، ولم نسمع عن محاولة حمادية

للوقوف إلى جانب بني زيري ، بل يرى بعضهم أن بني حماد رأوا في إضعاف النورمان لبني عمومتهم إعانة لهم على امتلاك ممتلكاتهم يوماً ما ، وأن النورمان رأوا – في المراحل الأولى – ألا يهيجوا بني حماد بسوء ، فظلت العلاقات بينهم حسنة ، ولم يغير عليهم النورمان إلا بعد أن رأوهم ملكوا جربة وطمعوا في المهدية ، أي أن الخلاف الذي وقع بين بني حماد والنورمان في الفترة الأخيرة من حياة الدولة ومن حكم يحيى ، كان مجرد صراع على ميراث دولة بني زيري ، وهذا بالطبع موقف مؤلم لبني زيري[٩٨] .

وبينما كانت مشاكل الحسن بن علي تتكالب عليه في الداخل والخارج ، كان بنو حماد يستغلون الفرصة وينقضون على الدولة الزيرية من أطرافها – تماماً كما يفعل النورمان – ولم يقدم يحيى على أية محاولة للتقرب من أبناء عمومته كما فعل أسلافه من بني حماد ، بل أثبتت الأحداث أنه في غير موقف كان بنو زيري أكثر إنسانية مع بني حماد ، كموقف تميم بعد موقعة سبيبة – غربي القيروان – التي هزم فيها الناصر بن علناس الحمادي سنة ٤٥٧ هـ (١٠٦٤م) أمام أبناء عمومته الزيريين ، وكموقف الحسن مع الأسطول الحمادي الذي غزاه عقب الموقعة التي نتحدث عنها الآن – كما سنذكر فيما بعد – ولم تبد مثل هذه المواقف من جانب بني حماد ، وحتى عندما سقطت المهدية بيد النورمان سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨م) ولجأ الحسن إلى يحيى ببجاية ، عامله يحيى بصلف وغرور ، ورفض أن يقابله ، أو يجتمع به في أي مكان .

على أن ابن أبي دينار الذي ذهب إلى أن يحيى قصد أخذ المهدية عندما سمع أن الحسن بن علي صالح رجار الثاني قد ذكر لنا أن ذلك الصلح من الحسن لم يكن إلا « **مخافة من شره** » ، مما يوعز بأن موقف الحسن كان موقف المضطر ، وقد ذكرنا سابقاً أن الحسن استعان بالمرابطين والذي نرجحه أنه ما كان ليرفض أية

مساعدة حمادية تأتيه من جانب أبناء عمومته ، لولا ما بدأ من سياستهم الإقليمية الذاتية ، ورغبتهم في التوسع على حسابه ، أكثر من رغبتهم في الوقوف معه ضد النورمان[٩٩] .

وعلى كل حال ، فبينما كان الموحدون والنورمان ينظرون إلى الملكين الصنهاجيين ، اللذين اعتصم كل منهما بعاصمة ضيق عليها الخناق ، بعين اللهفة ، وتنتظر الانتفاضة الأخيرة لافتراسهما ، فإذا بالضحيتين المقبلتين تأخذ كل منهما بخناق الآخر ، وكأن جميع الأحداث التي وقعت في تاريخ الأسرتين الطويل الدامي ، لم تكن تنطوي على عظة أو عبرة[١٠٠] .

ومجمل القول فإن تلك الحملة لم تؤت ثمارها ، على الرغم من أن قائدها مطرف بن علي بن حمدون قد بذل كل وسائله في الاستيلاء على المهدية ، فتظاهر بالتقشف والتورع عن سفك الدماء ، وأشاع أنه إنما جاء ليسلم المدينة من غير قتال[١٠١] ، ولكنه عندما يئس من استسلام المدينة بعد أيام من الانتظار نزل بظاهر زويلة - إحدى ضواحي القيروان - وباشر القتال ، فظهر أهل المدينة عليه وعلى جنده ، وقتل من جنده جم غفير ، فأمر مطرف بالزحف الشامل براً وبحراً على المدينة ، وقاتل شر قتال ، حتى اقترب من السور ، فأمر الحسن بن علي بفتح الأبواب ، وأشرك أسطوله في المعركة ، وخرج الحسن يقود الناس من باب المدينة .

على أن رجار الثاني الذي كان بالمرصاد والذي كان يشفق من وقوع المهدية في يد بني حماد ، بدلاً من أن تقع في يده هو ، سارع إلى نجدة الحسن بن علي بعشرين سفينة حربية ضربت حصاراً على الأسطول الحمادي ، وأراد النورمان إغراقه ، ولكن الحسن منعهم من ذلك ، وأمرهم بالكف عن قتال أبناء عمومته ففعلوا . ولمواجهة هذا الخطر ، لم يكتف الحسن بالاستعانة بالنورمان ، أعداء

الأمس ، فحسب ، بل استعان كذلك بأعراب بني هلال ، فقدموا لنجدته[١٠٢] .

ولما رأى مطرف بن علي بن حمدون النجدات تنهال على الحسن بن علي من البر والبحر ، أدرك أنه فشل في أخذ المهدية بالحرب ، كما فشل في أخذها بالطرق السلمية ، فرحل عن المدينة عائداً خائباً ، بينما قام رجار الثاني في المهدية يظهر السلم والمهادنة ، في الوقت الذي كان فيه ، دون شك يكمل دراسة خططه للاستيلاء على المدينة[١٠٣] .

وكان من أبرز نتائج هذه المعركة أنها جنت على يحيى بن العزيز بالله الحمادي نفسه ، وأقفلت باب التفاهم والود أبدياً بين فرعي صنهاجة ، ووقف كل منهما للآخر بالمرصاد في أحلك ظروف كانا يحتاجان فيها إلى التعاون . ومن آثار هذه المعركة كذلك أنها فتحت على بني حماد باب الصراع مع النورمان ، وقضت على فترة السلام التقليدي بينهما ، ولم يعد النورمان يخشون المرابطين الذين كانوا يحتضرون بدورهم ، فقلت أهمية بني حماد الذين كانوا يقفون كحاجز بين المرابطين وبينهم[١٠٤] .

وقد اطمأن النورمان بعد هذه الموقعة إلى اختلاف بني زيري مع بني حماد ، فتقدموا يغيرون على شواطئ الأوسط والأدنى دون خشية ، وأصبحوا من ذلك الحين ، وإلى ظهور الموحدين واستيلائهم على المغرب كله ، سادة الساحل الإفريقي الممتد من طرابلس شرقاً وحتى بونة غرباً[١٠٥] . وكانت هذه أكبر حجة شرعية وجدها الموحدون بل أملت نفسها على الموحدين كي يتقدموا للسيطرة على المغرب العربي[١٠٦] .

استيلاء النورمان على جزيرة جربة

ومنذ ذلك الحين فصاعداً ، كانت سياسة رجار الثاني تقوم على ترك المهدية وشأنها مؤقتاً ، وفي نفس الوقت يرسل ، بحجة تأديب غزاة البحر المسلمين ، حملات ضد نقاط أخرى على ساحل شمال إفريقية ، حيث لم يكن للحسن بن علي سلطان عليها . فقد سير رجار أسطوله في سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٥م) إلى جزيرة جربة ، في خليج قابس ، واستولى عليها ، وقتل عدداً كبيراً من أهلها ، ونهب أموالها ، وسبى نساءها وأطفالها ، وولى عليها رجار عاملاً من قبله[١٠٧] . حدث كل هذا ولم يحرك الحسن ساكناً إما لعجزه ، وإما لتواطئه مع الغزاة النورمان ، على الرغم من كون الجزيرة من ممتلكاته[١٠٨] . وباحتلال جربة نجح النورمان في عزل إفريقية ، وقطع صلاتها التجارية المجزية مع مصر ، وهي الصلات التي تعززت في أواخر أيام دولة بني زيري[١٠٩] .

ومن الأمور اللافتة للنظر في هذا السبيل أن رجار الثاني بعث بعد استيلائه على جربة بخطاب إلى الخليفة الفاطمي في القاهرة[١١٠] ، يسوغ فيه أخذه جربة متهماً أهلها بالاعتداء على مراكبه ، وبانتهاك الاتفاقيات المبرمة بينه وبين أمير المهدية الحسن بن علي . وقد أورد القلقشندي ضمن نماذج المراسلات السلطانية نص الخطاب الذي رد فيه الخليفة على كتاب رجار الثاني ، وفيه يتناول ضمن المسائل المثارة قضية جربة .

وفي هذا الخطاب يقول الخليفة لرجار الثاني ما نصه : « وأما ما ذكرته من افتتاحك الجزيرة . . . ، ولما شرحته من عدوان أهلها ، وعدولهم عن طريق الخيرات وسبلها ، واجترائهم في الطغيان . . . ، فإن من كانت هذه حالته حقيق أن تكون الرحمة عنه نائية وخليق أن يأخذه الله من مأمنه أخذة رابية . . »[١١١] .

إن رد الخليفة غريب حقاً ، ونشك في أنّ الخليفة يعني ما قاله بشأن استيلاء النورمان على جربة ولاسيما وأن علاقات الحسن بن علي ووالده قد تعززت مع الفاطميين ، ولعل ما ذكره راجع إلى رغبة الخليفة بحكم ضعفه وانشغاله بالحروب الصليبية في المشرق ، في إقامة علاقات طيبة مع رجار الثاني . ومع ذلك فإن الملك النورماني ، بعد استيلائهم على جربة اتخذها قاعدة لشن الغارات على طرق المواصلات البحرية التي تربط مصر بإفريقية(١١٢) .

إن استيلاء النورمان على جربة لم يكن بهدف وضع حد لأعمال القرصنة كما يدعي رجار الثاني ، بل لأنه – كما سبق أن ذكرنا – فكر في بسط نفوذه على إفريقية ، بعد أن انتزع صقلية من أيدي المسلمين ، فأراد أن يتخذ من جربة قاعدة له في خليج قابس لتحقيق غرضه في إفريقية ، وهو ما حدث بالفعل خلال الثلاث عشرة سنة التالية لاحتلال جربة .

حملات النورمان على ساحل إفريقية

وكيفما كان الأمر ، فإن رجار الثاني لم يدع أي فرصة تفلت من يده للحصول بأسطوله على ما كان يعجز عنه بالطرق السلمية . فحينما وقعت أزمة اقتصادية شديدة في المهدية سنة ٥٦٣ هـ (١١٤٢م) ، ولم يستطع الحسن بن علي رد بعض الأموال إلى رجار ، أغار الأسطول الصقلي على مرسى المهدية في خمسة وعشرين غرباً واستولى على ما كان راسياً به من سفن ومن بينها سفينة كان الحسن قد احتفل بها وشحنها بذخائر ملوكية ليهديها إلى الحافظ العبيدي صاحب مصر ، تعرف باسم « **نصف الدنيا** »[١١٣] . وأمام هذه القوة اضطر الحسن إلى عقد اتفاق جديد مع النورمان[١١٤] . وبمقتضى هذا الاتفاق أصبح الحسن مجرد عامل لرجار ، وربما يكون الأخير قد طلب ضمانات عن الرسوم الجمركية التي تدفع في ثغري المهدية وسوسة ، كما ضمن حق تأديب أية مدينة تثور يوماً على بني زيري[١١٥] ، ومعنى هذا أن أيدي النورمان أطلقت في شئون إفريقية الاقتصادية ، وفي الوقت نفسه امتد سلطانهم إلى النواحي الإدارية ، وشاركوا الأمير الزيري في شئون الحكم ، وبهذا أضافوا إلى السيطرة الاقتصادية سيطرة إدارية وسياسية .

ومن سنة ٥٣٧ هـ (١١٤٣م) فصاعداً ، تواصلت حملات النورمان على ساحل إفريقية ، ولكن هذه الحملات لم تكن موجهة في هذه المرة إلى بني زيري ، بل إلى مواليهم السابقين الذين ثاروا عليهم . ولا يعرف أحد ما إذا كان هذا راجعاً إلى طلب الحسن بن علي الذي لم يكن قادراً على إخضاع بني مطروح بطرابلس الغرب وبني حماد في بجاية وإبقائهم تحت سلطانه ، أو إلى تفكير رجار الثاني . ففي هذا العام ، أغار أسطول صقلية على طرابلس ، ولكن النورمان لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها لحصانتها وشدة دفاع أهلها عنها[١١٦] .

ولكن حظ الأسطول الصقلي كان أكثر توفيقاً في جيجل[١١٧] التي كانت تحت سيطرة بني حماد إذ نجح في أخذها عنوة ، وهو في طريق عودته إلى صقلية ، وسفك دماء أهلها وسبى حريمها وأحرقها بالنار[١١٨] ولم ينج من أهلها إلا من تعلق بالجبال . وفي سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣م) هاجم الأسطول الصقلي صفاقس واستولى عليها ، وفي العام التالي تمكن النورمان من الاستيلاء كذلك على مدينة برشك[١١٩] . ثم سار أسطولهم بعد ذلك إلى سواحل إفريقية وتمكنوا من الاستيلاء على جزيرة قرقنة سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥م) وقتلوا رجالها ، وسبوا حريمها . فأرسل الحسن بن علي إلى رجار الثاني يذكره بالعهود القائمة بينهما ، ويعنفه على نقض هذه العهود ، فاعتذر له رجار بأنه لم يهاجم إلا المدن التي خرجت عن طاعة الأمير الزيري ، وأنه ما زال حافظاً للعهود[١٢٠] .

ومن الواضح أن النورمان كانوا يهدفون من وراء هذه الإغارات إلى إلقاء الرعب في قلوب المسلمين ، واختبار مدى قوة دفاعاتهم ، وواضح كذلك أن النورمان اكتشفوا أخيراً أن أسطول بني زيري الذي كان يوماً قوياً قد أصابه الضعف ، فقد ضربهم الفقر ولم يعودوا قادرين على الصرف على بناء السفن وصيانتها وما بقي من السفن كان قاصراً على حمل القمح من مصر وصقلية[١٢١] .

استيلاء النورمان على طرابلس الغرب

أراد رجار الثاني الثأر للهزيمة التي نزلت بجنوده في طرابلس الغرب ، فقام بعد سنتين من محاولته الأولى بحملة ثانية على طرابلس الغرب بقوة بحرية صغيرة في أول الأمر للتمويه ، ولكن بعد سنتين أخريين أعاد الكرة في أسطول ضخم عدته مئتا سفينة تحت قيادة جرجي الأنطاكي[١٢٢] . وقبل وصوله بعدة أيام قضى المرابطون العائدون إلى مراكش بعد قيامهم بالحج ، على حكومة بني مطروح ، وكانت الفوضى التي أعقبت ذلك قد أضعفت المقاومة الإسلامية ، فاستغل النورمان ذلك وقاموا باقتحام أسوارها ، « **وتغلبوا عليها ، وسفكوا دماء أهلها ، وسبوا نساءهم ونهبوا أموالهم ، ثم نودي بالأمان في كافة الناس ، فرجع كل من فر منهم ، واستقامت أمور المدينة ، وألزم أهل صقلية بالسفر إليها فعمرت سريعاً وحسن حالها** »[١٢٣] .

ومما لا شك فيه أن قيام هذا الصراع بين المرابطين وبني مطروح قد ساعد جرجي الأنطاكي قائد الحملة النورمانية التي تم تجهيزها سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦م) . غير أنه يلاحظ أن الغلاء الشديد الذي عم البلاد في تلك السنة قد أوحى إلى رجار الثاني بالقيام بمشروعه الخطير ؛ لأنه رأى في ذلك تيسيراً له في مهمته[١٢٤] . والحق أن رجار لم يندم على قيامه بهذه المهمة ، كما أن الأهالي أنفسهم لم يغضبوا منها لأنهم استطاعوا أن يلاحظوا أن الملك النورماني قد ترك في البلاد نظاماً إدارياً رشيداً بتولية الشيخ أبي يحيى بن مطروح التميمي حكمها ، كما ولى قضاء المدينة أبا الحجاج يوسف بن زيري البربري « **فكانت أحكام المسلمين كلها مصروفة إلى واليهم وقاضيهم ، ولم يكن النصراني يتعرض لشيء من أحكامهم** »[١٢٥] .

ومما يجدر الاهتمام به هنا أن الاحتلال النورماني لطرابلس كان له أثره الخطير بالنسبة للأوضاع الاقتصادية هناك ؛ ذلك أن المدينة ازدهرت تحت الحكم النورماني في حين أن سائر بلاد إفريقية كانت تشكو من حالة غلاء شديد ، وكان هذا الغلاء عنيفاً جداً حتى أكل الأهالي بعضهم بعضاً ، كما يتضح ذلك مما ذكره ابن الأثير في حوادث سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧م) إذ يقول : « **وفيها اشتد الغلاء بإفريقية ، ودامت أيامه ، فإن أوله كان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، وعظم الأمر على أهل البلاد حتى أكل بعضهم بعضاً ، وقصد أهل البوادي المدن من الجوع ، فأغلقها أهلها دونهم ، وتبعه وباء وموت كثير حتى خلت البلاد . وكان أهل البيت لا يبقى منهم أحد ، وسار كثير منهم إلى صقلية في طلب القوت ، ولقوا أمراً عظيماً** »[١٢٦] . ولذلك لا عجب إذا رأينا أن عدداً كبيراً من أهالي صقلية يلجأ إلى طرابلس على حين كان سكان المناطق المنكوبة في بلاد إفريقية الأخرى تهاجر إلى صقلية طلباً للعيش الذي حرموه في بلادهم[١٢٧] .

ولسنا هنا بصدد التعرض لتفاصيل هذه الأزمة التي حلت بإفريقية في ذلك الوقت ، ولكننا نحب أن نشير إلى وقوع أزمات مشابهة في سنوات سابقة[١٢٨] ، ونحن لا نستغرب حصول ذلك ، ونتخذه دليلاً على سوء تصرف أمراء بني زيري ، ونزداد يقيناً بصحة ما ينسب إليهم من أنهم كانوا يتصرفون في أموال الدولة لفائدتهم ، تصرف المالك في ملكه ، ويسرفون في حياة البذخ والترف ، ويحيطون ملكهم بهالة من الأبهة والعظمة . ومن أن قصورهم كانت تزخر بالعبيد والجواري والقيان ، ومنها قصر بلكين الذي كانت به أربعمائة جارية . يضاف إلى ذلك ما أنفقه المعز بمناسبات وفاة جدته وزوجته ، وزواج شقيقته . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإنه ما كاد المعز يعلن الانفصال السياسي والمذهبي عن الدولة الفاطمية ، دون تقدير للعواقب ، حتى كانت زحفة الأعراب

التي ، وإن أفادت لإيجاد التوازن في الاحتفاظ بالجنس العربي وتقوية عنصره ، فإنها كانت كارثة كبرى ، وكان الأعراب الذين قاموا بها معاول لهدم الحضارة الإفريقية وسبباً في انتشار المجاعات(١٢٩) .

وكيفما كان الأمر ، فإن استيلاء النورمان على طرابلس كان له دويٌّ عال بين المسلمين والنصارى على السواء ، لأن رجار الثاني لم يحاول بعد انتصاره الكبير أن يستولي على المهدية ، كما كان متوقعاً ، وربما كان انشغاله في مشروع الحملة الصليبية المعروفة باسم الحملة الصليبية الثانية سبباً في ذلك(١٣٠) . وعلى أية حال ، فإن النورمان لم يصادفوا آنذاك مقاومة جدية أو محاولة إسلامية للتصدي لهم بسبب التمزق السياسي الذي كان ينشب مخالبه في مدن الساحل الإفريقي حين قدوم الأسطول الصقلي . يضاف إلى ذلك تخاذل بعض الزعماء الإفريقيين الذين دفعهم الحرص على مصالحهم الخاصة إلى الاعتراف بسيادة النورمان عن طريق غير مباشر ومهادنتهم علناً أو محالفتهم سراً ضد المسلمين وطلب المعونة ضد خصومهم .

ومن بين هؤلاء الزعماء الذين رأوا في رجار الثاني سيد المستقبل في إفريقية رجل يدعى يوسف وكان رقيقاً استبد بحكم قابس بعد وفاة واليها رشيد بن كامل سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧م) ، وأبعد أكبر أبنائه الأمير معمر عن ولاية العهد ، واختار بدلاً منه طفلاً صغيراً حتى يستطيع أن يحكم من خلاله(١٣١) . ولما أصبح يوسف مهدداً من بني قرة بسبب اغتصابه امرأة من نسائهم ، ومن ناحية الحسن الذي لم يقر ما فعله يوسف لجأ الأخير إلى رجار الثاني وبذل له الطاعة والولاء وقال له : **«أريد منك خلعة وعهداً بولاية قابس لكوني نائباً عنك كما فعلت مع بني مطروح بطرابلس فسير رجار الخلع والعهد فلبسها ، وقرأ العهد بمجمع من الناس »**(١٣٢) .

وهنا نجد مرة أخرى مسلماً يطلب المساعدة من النصارى ليشبع رغبته في التسلط والحكم ولو كان ذلك على حساب بني جلدته من المسلمين . وقد استهجن المؤرخ التونسي ابن أبي دينار الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) هذا المسلك الذي سلكه يوسف إذ قال : « . . **أعوذ بالله من الخذلان ، وإلا كيف تعد هذه الطائفة من حزب المسلمين ، وإنما هي من حزب الشياطين ، ولكن حب الدنيا والرياسة ألجأتهم إلى هذه الرذائل ، وحبك الشيء يعمي ويصم**»[١٣٣] . وعلى أية حال فإن الحسن بن علي بصفته سيد قابس والقائم بحماية أكبر أبناء رشيد وهو الوارث الشرعي له ، انتهز فرصة انشغال الأسطول الصقلي في البحر الأدرياتي وقام بالاستيلاء على قابس بمعاونة أهلها وانتهى الأمر بقتل يوسف[١٣٤] .

وهكذا أدى تمرد يوسف وولائه لرجار الثاني إلى تأليب عدة قوى ضده ، ثم قتله ، وفرّ أخوه عيسى إلى صقلية وأخبر ملكها بما حدث ، فغضب رجار الثاني وأرسل أسطولاً إلى قابس حاصرهم مدة ثم رجع بعد أن عجز عن احتلالها .

استيلاء النورمان على المهدية

وقد كان من المتوقع بطبيعة الحال أن يتخذ رجار الثاني من مقتل حليفه يوسف ذريعة لنقض الهدنة بينه وبين الحسن بن علي ، وكان قد عقد مع الحسن صلحاً لمدة سنتين[١٣٥] . فإذا ما أتم الأسطول الصقلي عمله في البحر الأدرياتي بتقوية جزيرة كورفو وتحصينها ، وتأكد رجار من انشغال البيزنطيين في حرب في شمال بلاد اليونان ، أخذ يعد العدة للقيام بحملة على المهدية في صيف سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨م)[١٣٦] .

أصبحت إفريقية مجهدة وفقيرة إلى حد أنه لا ينتظر لها أن تقاوم طويلاً ، إلا أن رجار الثاني أوعز إلى الحسن بن علي أنه ما زال يعترف بالهدنة الموقعة في سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦م) . حتى أنه بعد حادثة قابس استقبل رسول الحسن في بلرم[١٣٧] . وإذا ما تم كل شيء جمع جرجي الأنطاكي الأسطول الصقلي المكون من مئتين وخمسين شينياً مملوءة رجالاً وسلاحاً وقوتاً «**وسار عن صقلية ووصل إلى قوصرة وهي ما بين المهدية وصقلية ، فصدفوا بها مركباً وصل من المهدية ، فأخذ أهله ، وأحضروا بين يدي جرجي مقدم الأسطول ، فسألهم عن حال إفريقية ، ووجد في المركب قفص حمام ، فسألهم : هل أرسلوا منها ، فحلفوا بالله أنهم لم يرسلوا شيئاً ، فأمر الرجل الذي كان الحمام بصحبته أن يكتب بخطه : إننا لما وصلنا جزيرة قوصرة ، وجدنا بها مراكب صقلية ، فسألناهم عن الأسطول المخذول فذكروا أنه أقلع إلى جزائر القسطنطينية ، وأطلق الحمام فوصل إلى المهدية ، فسر الأمير الحسن والناس ، وأراد جرجي بذلك أن يصل بغتة**»[١٣٨] .

وهكذا «**فلم يشعر الحسن بن علي صباح الاثنين الثاني من شهر صفر إلا وقد طلع عليه جرجي الأنطاكي في أسطول ضخم ، فأرسى على بعد من المهدية وكانت الريح قد منعته من الدخول إلى المرسى ، فأرسل إلى الحسن يخادعه**

ويذكر أنه وصل لطلب عسكر يستعين به على أهل قابس ليوليها ابن رشيد فعلم الحسن أن هذه مخادعة له إلى أن تتهيأ له الريح فيدخلها »[١٣٩] . ، وتبين أن وصول هذا الأسطول لم يكن يعني غير انتهاء حكم أسرته ، ولذلك جمع كبار العلماء والأعيان في بلاده لاستشارتهم في هذا الأمر ، فأشار عليه بعضهم بالدفاع عن المدينة . ولكن الحسن كان يشعر بأن نجمه أخذ في الأفول وأنه من العبث أن يلجأ إلى القوة ؛ لأن عساكره كانت فوق قلة عددها تكاد لا تكفيها المؤن لأكثر من شهر ، ولذلك لم يأخذ برأي الذين أشاروا عليه بالقيام بمذبحة لا فائدة منها . وفي الوقت نفسه لم يقبل اقتراح جرجي الأنطاكي بالانضمام إلى النورمان لمحاربة المسلمين في قابس[١٤٠] .

لم يجد الحسن بن على بداً من الهرب ، وكانت الأسباب التي ذكرناها مسوغاً لهذا المسلك الذي سلكه أمام رعاياه ، وقبل أن ينزل رجال الأسطول الصقلي إلى البر ، خرج الحسن بن علي من قصره بما خف حمله ، ومن أمكنه من أهله وولده وحشمه وتبعه الناس فارين بما قدروا عليه من أهل وولد ، واتجهوا غرباً . وبقي الأسطول على ظاهر البحر لا يمكنه الدخول إلى البلد بسبب الريح حتى هدأت ، فدخل ووجد المهدية خالية فتملكها دون مدافع ، «ووجد جرجي الأنطاكي قصر الحسن على حاله لم يحمل منه إلا ما خف له ، فرأى فيه من الذخائر الملوكية ما هاله وحكم على ذلك كله ، وأمر أن ينادي في المهديتين بالأمان فارتفع النهب منهما ، وأخرج النصارى من المهديتين ، فأنزلهم فيما بينهما ، فكان من بقي بالمهدية أحسن حالاً ممن فر منها ، فإن الفارين لقوا من المشقة وعدم الماء ما أهلك أكثرهم إلى أن تداركهم جرجي فبعث لهم خيلاً يعلمونهم بالأمان فرجعوا إلى بلدهم وفرق عليهم مالاً وطعاماً أقرضهم إياه فصلحت أحوالهم واغتبط الناس بالمهدية لما رأوا من عدل النصارى ، فانغمرت

أحسن عمارة »[١٤١] .

بعد أن احتل رجار الثاني المهدية واستقر عامله بها أنفذ منها أسطولاً لاحتلال باقي المدن الأخرى على طول الساحل الإفريقي فلم يستغرق وقوعها في يده أكثر من شهر تقريباً ، بينها المدن الكبرى ومراكز التجارة ، سوسة وصفاقس وقابس . وبذلك صار للنورمان « **من طرابلس الغرب إلى قريب تونس ومن المغرب إلى دون القيروان** »[١٤٢] . عند ذلك توقفت غزوات رجار للمدن الساحلية الإفريقية ، التي كانت قد تمت في فترة وجيزة . وقد يبدو غريباً أن ما حدث من قيام المسلمين من إفريقية بفتح صقلية ، قد حدث مرة أخرى . ولكن ذلك كان يختلف عما حدث في المرة الأولى ، إذ عاد النصارى من صقلية واحتلوا المدن الإسلامية بنفس الطريقة التي تم بها الفتح الأول منذ ثلاثة قرون .

وهكذا فرض الأسطول النورماني سيطرته على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وابتز السيادة البحرية التي كانت لأساطيل المسلمين عامة وأسطول الفاطميين خاصة . ونجد في الشعر الصقلي تصويراً للسيادة البحرية النورمانية على عهد رجار الثاني ، فقد أسر الأسطول النورماني أحد بني رواحة مع عصبته فوقف أمام الملك وأنشده قصيدة يمدحه بها ويقول في وصف الواقعة :

أيا ملكا جالت أساطيل جيشه ... فأعظمت القتلى وأكثرت الأسرى
وأجريتها في لجة البحر إذ جرى ... فأسكرته جريا وأجريتها بحرا
وكنا لما تجرى المقادير عصية ... ركبنا به والموج يخطفنا ذعرا
وجاءت من الأسطول طير مسنفة ... أحاطت بنا من كل ناحية قسرا
فقمنا إليه ثائرين لدفعه ... نغالبه قهرا فعالجنا قهرا

(V. amari, biblioteca, I, P. 152)

ومع بساطة هذه الأبيات فإنها صادقة في دلالتها على سيطرة الأسطول النورماني وكثرته وقوته .

ومع ذلك لم يستطع رجار الثاني حين ذاك أن يمد نفوذه غرباً إلى أملاك بني حماد الذين كان حكمهم أكثر قوة من حكم بني زيري .

كما أنه لم يكن يستطيع أن يفرط في بضعة رجال ليقيم منهم حاميات في مدن أبعد من ذلك(١٤٣) ، أضف إلى ذلك أن الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين(١٤٤) بدأ يستعد دبلوماسياً وعسكرياً لاستعادة كورفو أولا ، ومن ثم الانتقام من رجار بنقل الحرب إلى الأرض الإيطالية نفسها في محاولة لاسترجاع السيادة البيزنطية المفقودة في تلك المنطقة(١٤٥) . وهكذا اضطرت الظروف رجار إلى تحويل مجهوداته مؤقتاً نحو الشرق .

ولقد عبر ابن الأثير عن هذه الحالة أحسن تعبير عندما تحدث عن حوادث سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩م) قائلاً : « **وفي هذه السنة اختلف رجار الفرنجي صاحب صقلية وملك القسطنطينية ، وجرت بينهما حروب كثيرة دامت عدة سنين فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين ، ولولا ذلك لملك رجار الثاني جميع بلاد إفريقية** »(١٤٦) واستطرد هذا المؤرخ قائلاً : « **وكان القتال بينهم براً وبحراً ، والظفر في جميع ذلك لصاحب صقلية حتى إن أسطوله ، في بعض السنين ، وصل إلى مدينة القسطنطينية ، ودخل فم الميناء ، وأخذوا عدة شوان من الروم ، وأسروا جمعاً منهم ، ورمى الفرنج طاقات قصر الملك بالنشاب** »(١٤٧) . ويعلق ابن كثير على هذه الأحداث بقوله : «**وكان الذي يفعل هذا بالروم والمسلمين جرجي وزير صاحب صقلية ، فمرض عدة أمراض منها البواسير والحصى ومات سنة ست وأربعين وخمسمائة** »(١٤٨) . هذا وقد أظهر ابن الأثير الشماتة والسرور بموت

جرجي الأنطاكي عندما قال إنه بموته : « سكنت الفتنة واستراح الناس من شره وفساده » . ومع ذلك فإنه يعترف بكفاءة هذا القائد بقوله : « ولم يمكن عند صاحب صقلية من يقوم مقامه »(١٤٩) .

مسلمو شمال إفريقية في ظل الحكم النورماني

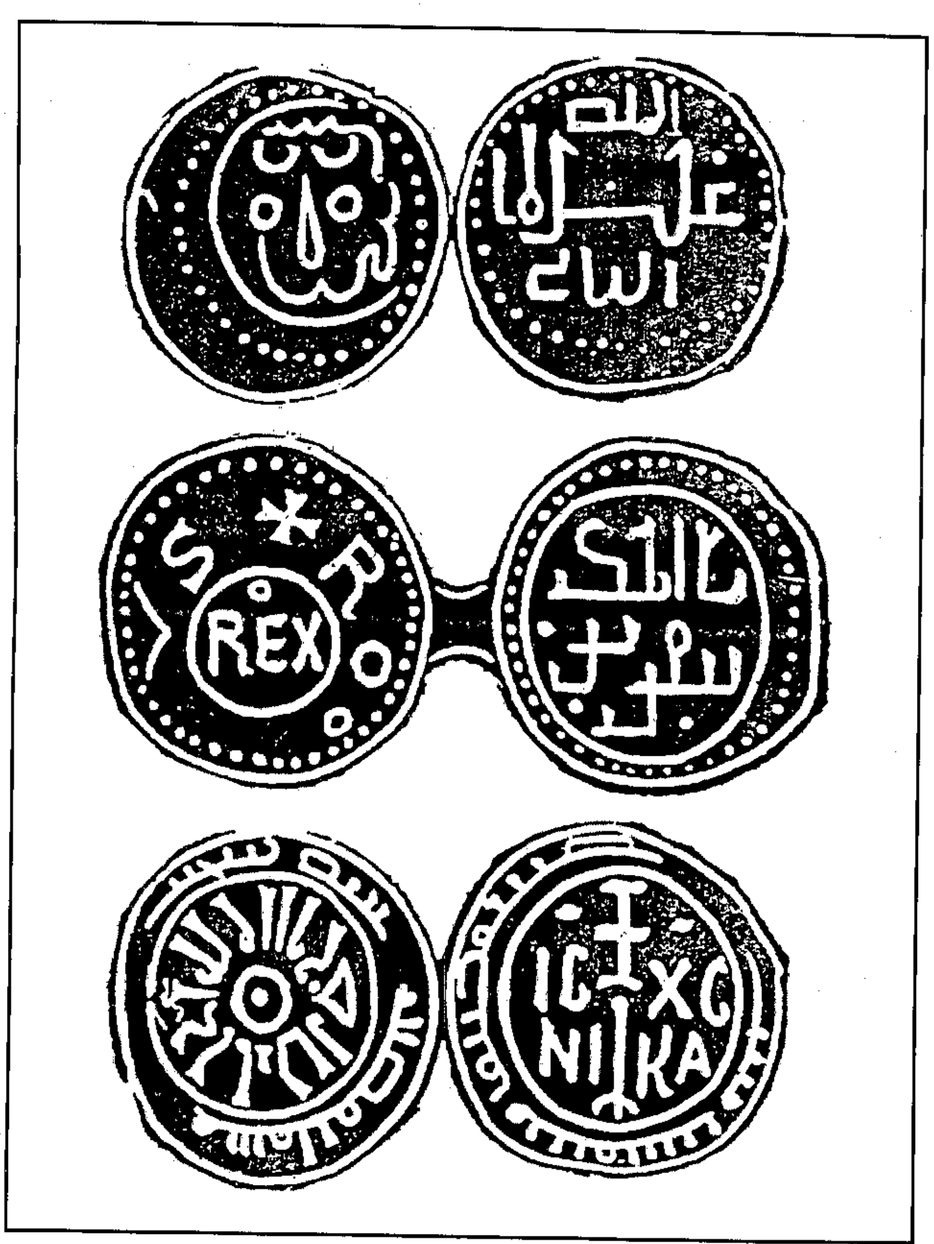
على أية حال فإن سياسة رجار الثاني تجاه إفريقية آتت ثمارها المرجوة . فقد اتسعت التجارة الصقلية إلى جنوب البحر المتوسط وشرقيه . بيد أن هذا الاتساع كان يتوقف على مقدار ما يصيبه الملك الصقلي من نجاح في ضم المستوطنات الجديدة إلى مملكته واستغلال اقتصادها . وقد عهد رجار بإدارة هذه الأملاك الإفريقية ، في بداية الأمر ، إلى جرجي الأنطاكي الذي كان بمثابة نائب له(١٥٠) . وقد تخوف جرجي من امتداد هذه الأملاك نحو المناطق الداخلية ، ولذلك كرس نفسه لإقرار الأمن والنظام في الأراضي الإسلامية المحتلة طبقاً لخطة ، ربما كان الملك الصقلي قد وضعها قبل احتلال طرابلس في سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦م) ، وجربت في هذه المدينة بعد الاستيلاء عليها . ففي كل من المدينتين المحتلتين ، طرابلس والمهدية ، استقرت حامية في قلعتها تحت قيادة قائد مسئول عن حمايتها وأمنها الداخلي . بينما عهد بالإدارة المدنية إلى (عامل) ، اختارته الحكومة الصقلية من بين الأعيان المحليين(١٥١) . ومن أجل التأكد من ولاء عاملها أخذت رهائن من أقرب أقربائه وحملتهم إلى بلرم . ومن تحت هذا (العامل) عين القضاة بواسطة الحكومة الصقلية ، من أجل إرضاء شعور الأهالي . وفرضت ضريبة الرؤوس على الأهالي ولم يجمع غيرها . أما عن تحصيل الضرائب التي كانت تدفع سابقاً إلى الأمير الزيري والشيوخ المحليين فقد استعمل ممثلو الحكومة السياسة بدلاً من القوة في جمعها . أما من الناحية الدينية فقد وافق رجار نائبه جرجي على اتباع سياسة التسامح الديني(١٥٢) .

وفي ظل الحكم النورماني لم يجد المسلمون في الأراضي العربية المحتلة تغيراً يذكر في حياتهم اليومية سوى ما لمسوه من الانتعاش الاقتصادي في بلادهم . فلم يمض وقت طويل على الاحتلال النورماني حتى أعان جرجي

الأنطاكي المهدية وضاحيتها زويلة ، فأقرض التجار وأعان الفقراء . وكما حدث في طرابلس قبل ذلك بسنتين ، تدفق التجار الإيطاليون والصقليون ومعهم مواد التجارة على المستوطنات الجديدة . وبالإضافة إلى ذلك أعلن رجار الثاني في إفريقية أنه سوف يمنح امتيازات يحابي بها من يخضع لحكمه عن رضا . واستجابة لهذه لدعوة أخذت تخضع له وتواليه كثير من القوافل التي أخذت تصل إلى صفاقس بعد الاحتلال النورماني بقليل(١٥٣) .

وفي الوقت ذاته حاول رجار الثاني أن يتقرب إلى رعاياه الجدد في إفريقية – كما حدث في صقلية – فأضاف إلى ألقابه لقب ملك إفريقية Rex Africae(١٥٤) ، واستعمل اللغة العربية من وقت إلى آخر في إظهار نفسه بأنه حامي المسلمين ، كما أن الذي يحميه هو الله ، فاختار النقوش التي تكتب على عملته عبارة يفهم منها أنه سيحكم إفريقيا كما يحكمها أي أمير مسلم ، دون أن يغير هذا من اتجاهه بأن يولي المسائل النصرانية في إفريقية اهتمامه .

وربما يكون من المناسب هنا أن نشير إلى أن النورمان سكوا نقودهم بحروف عربية وعليها تواريخ هجرية وعبارة التوحيد « **لا إله إلا الله ، محمد رسول الله** » وبعض آيات من القرآن الكريم(١٥٥) . وبعض النقود كان يكتب على أحد وجهيها في الوسط عبارة « **المعتز بالله** » . وفي دائرة أولى « **الحمد لله حق حمده ، وكما هو أهله ومستحقه** » ، وفي دائرة ثانية « **ضرب بأمر الملك المعظم رجار الثاني ، المعتز بالله ، بمدينة المهدية سنة ١١٤٨م** » . أما الوجه الآخر من العملة فلم يختلف كثيراً عن الوجه الأول سوى أن عبارة الوسط حذفت منها وحل محلها اسم « **الملك رجار** »(١٥٦) . وهذا غاية في التسامح الديني مقرونا بحكمة تجارية إذ كان يهم النورمان أن تقبل نقودهم في أسواق شمال إفريقية(١٥٧) .



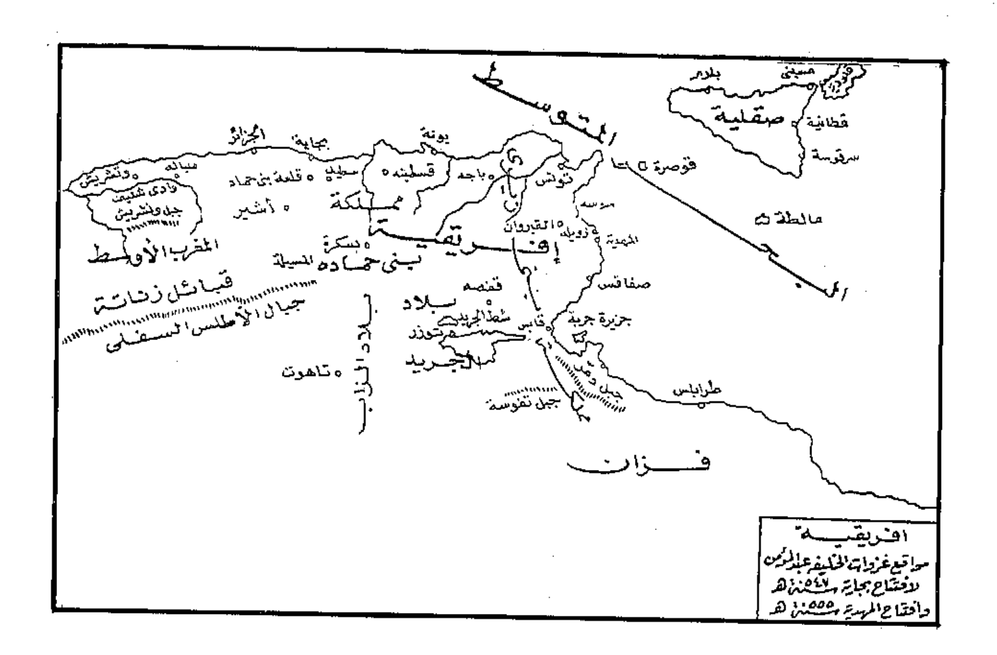
نقود عربية قطع نقدية من صقلية وعليها أحرف عربية
(نقلا عن هونكة ، المرجع السابق ، ص ٦٥٣)

هذا ومن الثابت المحقق أن التسامح الديني بين المسلمين وغيرهم ، لم يكن بدعة أدخلها النورمان في صقلية وشمال إفريقية ، فإن المسلمين حينما كانوا يحكمون جنوب إيطاليا وصقلية ، وقد وضعوا أساس هذه السياسة . فقد كان التسامح الديني هو أساس المعاملة بين الحكام المسلمين وغير المسلمين المحكومين(١٥٨) .

لم يغير رجار الثاني شيئاً من الطابع الإسلامي للجزء الإفريقي من مملكته . فبعد أن استولى على طرابلس في سنة ٤٥٠ هـ (١١٤٦م) شجع الهجرة إليها من صقلية ، وكذلك طبق سياسته الإسكانية على الأراضي التي احتلها سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨م) . وكانت دعوته للهجرة موجهة أولاً إلى مسلمي صقلية الذين تقهقر وضعهم فيها بسبب كثرة اللمبارديين الذين جلبهم النورمان من شمال إيطاليا بأعداد كبيرة . هذا إلى أن سياسة التسامح الديني التي اتبعها الحكام النورمان في صقلية لم تكن مقبولة لدى رجال الدين اللمبارديين ، ولابد وأن رجار قد رحب بهذه الفرصة لتخفيف حدة التوتر في صقلية بتشجيع هجرة المسلمين منها إلى إفريقية . وهذه السياسة يمكن اعتبارها الخطوة الأولى نحو بناء دولة عالمية مختلطة على درجة كبيرة من الخير المادي والحضاري ، وهي التي كانت تمثل أقصى أحلامه(١٥٩) .

ولكن لم تعط خطط رجار الثاني البعيدة المدى وقتاً لتنضج . ففي السنوات الأخيرة من حكمه شهد بنفسه تحطيم ضم المراكز الإفريقية إلى مملكة صقلية تحطيماً سريعاً . فقد أتى التهديد الأكبر للمحاولة الصقلية من وراء جبال مراكش حين ظهرت حركة الموحدين الدينية التي قامت في فكرة الجهاد في سبيل إعادة مجد الإسلام الأول ، ولم يكن استيلاء الخليفة الموحدي ، عبد المؤمن بن علي ، على مملكة المرابطين بالمغرب والأندلس ، وكذلك غزوة مملكة بني حماد في بجاية

هو الغاية النهائية التي يسعى لها الموحدون ، بل كانت الخطوة الأولى في سبيل تكوين خلافة إسلامية قوية تستطيع رد الزحف الصليبي في المشرق وفي المغرب على السواء[١٦٠] .



نقلا عن : علام ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠

الصراع بين الموحدين وبني حماد

كانت هناك عدة اعتبارات أوجبت على عبد المؤمن بن علي أن يضم مملكة بني حماد الزيرين الصنهاجيين إلى ملكه . وفي مقدمة هذه الاعتبارات أن وحدة الدولة الموحدية الناشئة وأمنها يتطلبان ألا تبقى دولة بجاية والقلعة بيد يحيى الحمادي الذي أثبت أنه غير كفء للوقوف في وجه النورمان الذين احتلوا المهدية ، وسيطروا على الساحل الغربي والشرقي الممتد من طرابلس الغرب حتى بونة ، وقد راح المسلمون في الثغور الواقعة على هذا الشاطئ يستغيثون بالخليفة الموحد عبد المؤمن بن علي ، ولم يكن هناك من سبيل إلى إنقاذ هذه الثغور من النورمان إلا بالاستيلاء على مملكة بني حماد التي تفصل الموحدين عن إفريقية التي احتلها النورمان(١٦١) .

وكانت بجاية أيضاً قد انتابها الضعف الشديد لانغماس حكامها في اللهو والترف ، وشدة حملات العرب الهلاليين وإغارتهم التي لا تنقطع عنها ، فإذا لم يسارع عبد المؤمن بن علي إلى ضم مملكة بني حماد إليه ، فإن النورمان سيبطشون بهم – دون شك – وكان الموحدون يذكرون ليحيى تدخله في الصراع الذي دار بينهم وبين المرابطين سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤م) وإمداده لتاشفين بن علي بن يوسف المرابطي بجيش يقوده ميمون بن حمدون(١٦٢) . وكانت لدى الموحدين أسباب أخرى – غير هذه الأسباب – منها أن بقايا المرابطين بعد ذهاب دولتهم والمتعاطفين معهم كانوا ينظرون إلى دولة بني حماد نظرتهم إلى ملجأ يمكن أن يتجمعوا فيه ويكيدوا للدولة الموحدية(١٦٣) .

وهناك اعتبار آخر لا يقل خطورة عما سبق وهو أن سياسة بني حماد تجاه النورمان غلب عليها روح التسامح والود ، ولم يتركوا فرصة إلا استغلوها لتعميق

هذه العلاقة ، لكن النورمان كانوا ينظرون إلى الأمور نظرة مصلحية محددة ، فما أن استوجبت ظروفهم المصلحية الانقضاض على بني حماد حتى بادروا إلى ذلك دون النظر إلى أية خدمات حمادية سابقة أو أية عهود أو مواثيق[١٦٤] .

وقد حاول النورمان إغراق الأسطول الحمادي أمام المهدية سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤م) - كما ذكرنا - كما كما شهدت سنة ٥٣٧ هـ (١١٢٤م) هجومهم على جيجل ، وتتابع هجومهم على المدن الحمادية الساحلية ، وبدأوا بعد استيلائهم على المهدية سنة ٥٣٤ هـ (١١٤٨م) محاولة الاستيلاء على الجزائر الحمادية ، وهاجموا مدينة بونة لهذا الغرض ، ولم يمنعهم من التوغل في الأراضي الحمادية إلا ظهور الموحدين الذين وضعوا حداً لأطماعهم وتوسعهم[١٦٥] ففي سنة ٥٤٧ هـ (١١٥٢م) ، كان الموحدون يتقدمون إلى بجاية ليلعبوا معها الدور الذي فرضت عليهم المقادير القيام به . وقد شق عبد المؤمن بن علي الموحدي طريقه من سبتة إلى بجاية في صفر سنة ٥٤٧ هـ (١١٥٢م) ، دون أن يعرف الذين معه خط سيره ومقصده الحقيقي ، «**فأسرع السير ، وطوى المراحل ، فلم يشعر أهل بجاية إلا وهو في أعمالها**»[١٦٦] .

ومع ذلك فإن بقية هذه الروح التي تمسك بها بنو حماد في علاقتهم مع النورمان ظلت باقية إلى آخر أيامهم ، فعندما سقطت بجاية واستسلم يحيى ، آخر ملوك بني حماد ، فر أخوه الحارث - الذي كان يحكم بونة - إلى صقلية في محاولة للاستنجاد بالنورمان ، وقد أنجده النورمان بأسطول قاده فيليب المهدوي حاصر به بونة ، وأعانهم العربان على احتلالها[١٦٧] . وقد مكث الحارث ببونة إلى سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦م) ، حين استولى الموحدون على المدينة وقتلوه صبراً ، وبذلك انتهت دولة بني حماد[١٦٨] .

الحرب بين الموحدين وبني هلال

وقد كان العنصر الوحيد الذي أبدى شيئاً من المقاومة لتقدم الموحدين ، هم بنو هلال الذين رأوا في هؤلاء البربر خصائص من الجرأة والتخطيط والتنظيم لم يعهدوه في أمراء صنهاجة ، وتبين لهم أن عهد الفوضى في المغرب قد انتهى ، كما انتهت الامتيازات التي اختطفوها عنوة من بني زيري في بجاية والمهدية . ولذلك تناسى شيوخهم ما بينهم من الخصومات والأحقاد وقرروا توحيد قوتهم والزج بها في المعركة ضد هؤلاء المغاربة(١٦٩) .

وهكذا جمعوا حشودهم في بجة وساروا في غير نظام إلى بجاية التي كان عبد المؤمن بن علي قد غادرها . ولما بلغه أخبار هذا الزحف في متيجة ، وهو في طريقه إلى المغرب ، كر راجعاً ثم استدرج بني هلال حتى سهول سطيف . وهناك أدرك بنو هلال أنهم أمام معركة فاصلة ، فحشدوا نساءهم وأطفالهم في ميدان القتال ، بل وعقلوا إبلهم حتى لا يخطر لأحد منهم أن يفر من المعركة . وبعد أربعة أيام من المذابح ، تغلب الموحدون على العربان ؛ بسبب ما كان يسود صفوفهم من الطاعة والنظام ، وشتتوا جموع بني هلال ، ثم طاردوا فلولهم حتى تبسة . ولكن عبد المؤمن الذي قسم الغنائم بين أصحابه أعاد إلى المنهزمين نساءهم وأحسن استقبال شيوخهم(١٧٠) . وكانت هذه خطوة كبيرة في طريق إدماج قبائل بني هلال التي عاثت فساداً في ربوع المغرب قرنا كاملاً(١٧١) . وبذلك وطد عبد المؤمن بن علي أقدامه في المغرب الأوسط ،وبدأ يستعد لضم المغرب الأدنى وطرد الغزاة النورمان من الأراضي العربية المحتلة .

كان الاحتلال النورماني لبونة سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣م) ، هو آخر إنجاز عسكري يتم تحقيقه في عهد رجار الثاني الذي توفي في بداية سنة

٥٤٩هـ (١١٥٤م) عن عمر يناهز ثمانية خمسين عاماً[١٧٢] . وهنا ينبغي أن نلاحظ أن هذا الانتصار النورماني كان انتصاراً مؤقتاً ؛ لأن القوى السياسية في عالم البحر المتوسط - آنذاك - والأخطار التي أحاطت بالنورمان جعلت انتصارهم في عام ٥٤٨ هـ (١١٥٣م) هشاً وقصير الأمد .

اضطراب الحكم النورماني في صقلية

فبعد وفاة رجار الثاني خلفه في حكم صقلية ابنه الصغير غليالم الأول[١٧٣]، ولكنه لم يرث عنه اهتمامه بتفاصيل الحكم، وإن ظل حريصاً على سياسة أبيه تجاه إفريقية. وقد جاء ارتقاؤه العرش في فترة عصيبة. ففي السنوات الأخيرة من حكم رجار الثاني حدث بعض الاضطراب الذي دل على نمو معارضة إقطاعية وتوتر عرقي معاً. ولا أدل على ذلك من أن قائد الأسطول الصقلي فيليب المهدوي كان قد أحرق بتهمة الخيانة[١٧٤]. وفي ربيع الثاني سنة ٥٤٩ هـ (يونيو سنة ١١٥٤م) عين مايوني (Maio/Majone) الباري نائباً له. وكان هذا قد شق طريقه تحت حكم رجار الثاني، ومنذ اللحظة الأولى قرر البارونات الإقطاعيون أن يتمردوا على هذا النائب الذي احتكر السلطة في صقلية. ويوقفنا ابن الأثير على أسباب هذا التمرد، ويعلق عليه فيقول إنّ غليالم الأول كان « **فاسد التدبير، سيء التصوير، فاستوزر مايو البرصاني، فأساء التدبير، فاختلفت عليه حصون من جزيرة صقلية، وبلاد قلورية، وتعدى الأمر إلى إفريقية** »[١٧٥]. كان هؤلاء البارونات مستعدين للتعاون مع أي عدو أجنبي يستطيع أن يشغل الملك في حرب. وقد جاءتهم الفرصة سريعاً إذ إن كل أعداء صقلية الذين كانوا يخشون بأس رجار الثاني انطلقوا الآن على ابنه غليالم الأول، ولم ينقذ صقلية سوى التحالف الذي كان بين أباطرة كل من بيزنطة وألمانيا الذين خططوا من أجل تحطيم « **مغتصب الإمبراطوريتين** » لم يقم قط[١٧٦].

الحرب بين النورمان والفاطميين

وفي زحمة هذه الأحداث نشبت الحرب بين النورمان والفاطميين الذين خرجوا على اتفاقهم القديم مع رجار الثاني بأن دخلوا في علاقات تجارية مع بيشة ، فأرسل غليالم الأول أسطولاً مكوناً من ستين سفينة إلى الشواطئ المصرية من أجل شن هجوم مفاجئ على تنيس ، ودمياط ، ورشيد ، والإسكندرية . وقد نجح هذا الأسطول في مهمته وعاد إلى صقلية ، وسفنه مليئة بالأسلاب والغنائم من الذهب والفضة وأشياء أخرى . كما أظهر الأسطول الصقلي تفوقه - مرة أخرى - حينما أوقع خسارة جسيمة بأسطول بيزنطي يفوقه عدداً حاول أن يعترض طريقه(١٧٧) .

معاهدة بنيفنتو

وفي غضون هذه الفترة كان البابا هادريان الرابع(١٧٨) على علاقة سيئة للغاية مع غليالم الأول ، حتى إن البابا رفض الاعتراف به ملكاً ووقع عليه الحرمان بوصفه نصرانياً . كما أن البابا أوى العديد من الثوار النورمان المناوئين لغليالم الأول ومنحهم الدعم والتأييد(١٧٩) . وفضلاً عن ذلك فإن البابا كون حلفاً من أمراء أبوليا الإقطاعيين الذين اشتدت رغبتهم في التخلص من سيطرة النورمان ، كما أجرى مفاوضات مع مانويل الأول كومنين لمساعدته في حرب النورمان ، ويبدو أن غليالم الأول أحس بخطر هذه المحالفات التي يعقدها البابا ضده فأسرع إلى عقد اتفاقية مع البابوية في جمادى الأولى سنة ٥٥١ هـ (يونيو ١١٥٦ م) عرفت بمعاهدة بنيفنتو(١٨٠) وفيها أقر البابا شرعية امتلاك غليالم الأول وورثته لكل أبوليا وقلورية وسالرنو وأمالفي ونابلي وصقلية ، وكل ما فتحه

النورمان سابقاً ولاحقاً . وفي المقابل أقسم غليالم الأول يمين الولاء والطاعة للكنيسة الرومانية ، وتعهد بدفع مبلغ معين من المال سنوياً إلى البابوية[١٨١] .

الصلح بين النورمان والبيزنطيين

وفي نفس هذه السنة أنزل غليالم الأول هزيمة كبرى بالبيزنطيين عند برنديزى Brindisi حتى اضطر الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين إلى عقد الصلح مع الملك الصقلي في ربيع سنة ٥٥٣ هـ (١١٥٨م) ، ونجحت وساطة البابوية في إتمام ذلك الصلح[١٨٢] . والواقع أن هذا الصلح يعني اعتراف بيزنطة . ولأول مرة بشرعية الوجود النورماني في جنوب إيطاليا وصقلية ، وبالتالي تحطمت آمال آل كومنين عموماً ، ومانويل الأول كومنين بشكل خاص ، في استعادة النفوذ البيزنطي في شبه الجزيرة الإيطالية[١٨٣] . ولكن على الرغم من هذا الانتصار النهائي لجيوش صقلية ودبلوماسيتها . فإن هذه الأحداث كانت لها آثار بعيدة المدى ، وكلفت الدولة مركزها القيادي في حوض البحر المتوسط ، وكذلك مستوطناتها في شمال إفريقية .

عبد المؤمن بن علي يسترد شمال إفريقية من النورمان

كان أول من استفاد من هذا الوضع عبد المؤمن بن علي الذي أشاع أنه في سبيل إعداد غزوة لصقلية وأبوليا وروما ، بينما كان هدفه الحقيقي استرداد إفريقية . والحق أن عبد المؤمن بن علي كان قد اختار الوقت المناسب الذي كانت فيه حكومة صقلية قد أنهكتها الثورات والحرب مع البيزنطيين ، فلم تستطع أن ترسل الإمدادات إلى إفريقية ، أو أن تحتفظ في الوقت ذاته بقوات في مدن الساحل الإفريقي لإخضاع الأهالي هناك[١٨٤] .

وهنا ينبغي أن نلاحظ أنه كان للاضطراب الذي حدث في صقلية نظيره في إفريقية . إذ علم العمال بالمصاعب التي تعانيها الحكومة الصقلية ، وأدركوا أن الوقت قد حان ليسقطوا عنهم حكم النورمان ، ويلتفوا حول الموحدين الذين بارك الله قضيتهم السياسية والدينية ، فأصبح قتالهم من أجل الاستقلال السياسي جزءاً من الحرب الدينية ، ومن أجل إمامهم الحق وديانته . هذا وقد استغل عبد المؤمن بن علي اضطرابات المدن الإفريقية إلى أقصى ما يستطيع ، وأخذ في عمل الخطط ، وكسب الأنصار الذين أيدوا قضيته[١٨٥] .

هذا ويذكر السلاوي ، المؤرخ المغربي ، أن أمير إفريقية السابق - الحسن بن علي - هو الذي كان يغري عبد المؤمن بن علي ، ويشجعه على غزو إفريقية لإنقاذها من أيدي النورمان[١٨٦] . وهناك شيء يؤكد ذلك هو أن الطرفين كانت تربطهما علاقة صداقة ومودة قوية ، فعندما وصل عبد المؤمن بن علي بجيوش الموحدين إلى الجزائر سنة ٥٣٣ هـ (١١٥٨م) ، وجد فيها الحسن بن علي ، الذي خرج إليه وبايعه ، وصاهره عبد المؤمن ، وحمله إلى مراكش[١٨٧] . ويستطرد السلاوي قائلاً : « **إن عبد المؤمن بن علي كان يحب ذلك ويرغب فيه ،**

إلا أنه كان ينتظر الفرصة المناسبة » . ويذهب هذا المؤرخ كذلك إلى القول أن النورمان أوقعوا آنذاك بأهل زويلة وقعة شنيعة ، حتى إنهم قتلوا النساء والأطفال ، ففر جماعة منهم إلى عبد المؤمن بن علي ، وهو بمراكش ، يستجيرونه ، ويستنصرونه على النورمان ، فلما وصلوا إليه أكرمهم ، وأخبروه بما جرى على المسلمين ، وإنه ليس في ملوك الإسلام من يقصد سواه ، ولا يكشف هذا الكرب غيره ، فدمعت عيناه وأطرق ، ثم رفع رأسه وقال : « **أبشروا ، لأنصرنكم ولو بعد حين** »[١٨٨] .

وعلى أية حال بدأ عبد المؤمن بن علي سنة ٥٥٤ هـ (١١٥٩م) ، ينظم حملته القوية لطرد النورمان نهائياً من شمال إفريقية . وقد سنحت له الفرصة حينما ثارت المدن الإسلامية المحتلة على الحكم النورماني ، منتهزة فرصة موت رجار الثاني وتولية ابنه غليالم الأول . وابتدأت جزيرتا جربة وقرقنة بالثورة ونبذ طاعة النورمان ، ثم تلتهما صفاقس التي قاد واليها عمر بن أبي الحسن الفرياني ثورتها بنفسه . وأمر بقتل جميع النورمان ببلده ، فأبيدوا عن آخرهم ، وذلك سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦م) . وكان «**انتفاض صفاقس على النصارى سبباً في انتفاض سائر بلاد السواحل وزوالها من أيديهم** »[١٨٩] ، ففي سنة ٥٥٣ هـ (١١٥٨م) قام الشيخ أبو محمد بن مطروح بالثورة في طرابلس وأسر جميع الحامية النورمانية . وفي قابس ثار على النورمان محمد بن رشيد ، وكانوا قد نصبوه قائداً على المدينة ، ونجح في ثورته عليهم . ثم قام جيش الموحدين ببجاية بانتزاع بونة من النورمان ، وبذلك لم يبق بأيدي النورمان سوى المهدية وسوسة[١٩٠] . وفضلاً عن هذا فقد وفد على عبد المؤمن بن علي بمراكش وفد كبير من هذه الثغور يستغيثون به ليرد عنهم انتقام ملك صقلية الذي كان يعدهم بالشر وسوء المصير لثورتهم على حكمه[١٩١] .

وهكذا لم يأت ربيع سنة ٥٥٤هـ (١١٥٩م) حتى كانت فتوحات النورمان من تونس إلى طرابلس قد اهتزت كلها ما عدا العاصمة الكبيرة والقاعدة البحرية المهدية ، ولكن بعد الثورة الناجحة أراد حاكم صفاقس وشعبها أن يستولوا عليها بمباغتتها ، ولكنهم لم ينجحوا إلا في الوصول إلى الضاحية التجارية زويلة بسبب قلة سكانها من النصارى ، كما فشلت محاولتهم للاستيلاء على حصن المدينة البحرية المهمة على الرغم من كثرة التكاليف . ولم يكد غليالم الأول ينجح في صد البيزنطيين عن أبوليا حتى وجه إلى إفريقية عشرين شينياً مليئا بالرجال والمؤن والسلاح ، فهاجموا زويلة ، فانسحب العربان أثناء القتال بعد أن بذل لهم النورمان المال الوفير ، وتبعهم أهل صفاقس وتركوا أهل زويلة يواجهون مصيرهم المحتوم من قتل وتشريد(١٩٢) .

وقد حاول غليالم الأول أن ينظم زويلة لتكون مركزا للاجئين النصارى الذين هربوا من المغرب الأوسط بعد أن استولى عليه عبد المؤمن بن على ، وكذلك للذين فروا من المدن الثائرة في إفريقية . وقد أنشأ الملك الصقلي أسقفية هناك إلا أنها لم تكن إلا قصيرة الأجل(١٩٣) ، إذ إنه في العشر الأول من شهر شوال سنة ٥٥٣هـ (أكتوبر - نوفمبر ١١٥٨م) ، تحرك عبد المؤمن بن علي من مدينة مراكش ونزل بمدينة الرباط حيث نظم جيوشه ، ووفدت عليه جموع غفيرة من رجال القبائل ، ثم اتجهت هذه الجيوش الكثيفة إلى المشرق في شهر صفر سنة ٥٥٤هـ (١١٥٩م) ، فوصلت إلى تونس في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة آنفاً ، حيث افتتحها عنوة(١٩٤) .

وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون أن عبد المؤمن بن علي كان حين ذاك قد عزم على العبور إلى الأندلس لما بلغه من اضطراب أحوالها ، «**فنهض يريد الجهاد . . فبلغه انتفاض إفريقية ، وأهمه شأن النصارى بالمهدية . فلما توافت**

العسكر . . نهض يغذ السير إلى إفريقية . .[١٩٥] . واجتمع (له) من العساكر مائة ألف مقاتل ومن الأتباع والسوقة أمثالهم وبلغ من حفظه لعساكره أنهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتأذى بهم سنبلة ، وإذا نزلوا صلوا جميعاً مع إمام واحد بتكبيرة واحدة لا يتخلف منهم كائناً من كان»[١٩٦] .

أقام عبد المؤمن بن علي ثلاثة أيام في تونس ثم زحف إلى المهدية لقتال النورمان وأسطوله يحاذيه في البحر ، وكان يتكون من سبعين شينيا وطريدة وشلندي[١٩٧] بقيادة ابن ميمون ، فوصل إليها في رجب سنة ٥٤٤هـ (أغسطس ١١٥٩م) ، ثم ضرب حولها حصارا من البر والبحر . ولم تكن المهدية يسيرة المنال ، إذ كانت تضم بين جناحيها حامية نورمانية قوية ، كم كان يستوطنها الكثير من البارونات والنورمان ، بالإضافة إلى حصانتها الطبيعية ، فالبحر يحميها من ثلاث جهات ، وأسوارها غاية في القوة والمتانة ، وكان بها من الأقوات والمعدات الشيء الكثير[١٩٨] .

حينما شعر النورمان باقتراب الموحدين من المهدية ، أخلوا زويلة – ضاحية المهدية الشمالية – وأمروا سكانها بدخول المهدية ليتحصنوا بها ، فأسرع عبد المؤمن بن علي إلى تحري زويلة التي امتلأت بالموحدين والعربان والصنهاجيين . وبدأ الموحدون يقاتلون النورمان بالمهدية ، ويحاولون اقتحامها على غير طائل لشدة مناعتها وقوة حصانتها ، وكان النورمان يخرجون لقتال الموحدين بين الحين والآخر فينالون منهم ، ويعودون سريعاً إلى مدينتهم متحصنين بها . فأمر عبدالمؤمن بن علي أن يبني سوراً من غرب المدينة يمنعهم من الخروج ، وأحاط الأسطول بها في البحر ، وركب عبد المؤمن بن علي في شيني ومعه الحسن بن علي آخر أمراء بني زيري الذي كان صاحبها قبل احتلال النورمان لها سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨م) ، وطاف بها في البحر فهاله ما رأى من حصانتها ، وأدرك أنها

لا تفتح بقتال براً ولا بحراً ، وأن السبيل إلى الانتصار على النورمان لا يكون إلى بحصار المهدية ، والصبر والمطاولة(١٩٩) .

عاد عبد المؤمن بن علي من البحر وأمر بجمع الغلات والأقوات اللازمة لهذا الحصار الطويل ، فلم يمض غير قليل حتى صار في المعسكر مثل الجبلين من الحنطة والشعير ، فكان من يصل إلى المعسكر من بعيد يقول : «**متى حدثت هذه الجبال**» فيقال «**هي حنطة وشعير**» فيتعجب من ذلك ،وتمادى الحصار للمهدية ستة أشهر . وفي غضون هذه الفترة حول عبد المؤمن بن علي جزءا من جيشه إلى تحرير البلدان والثغور الأخرى التي لا يزال بها النورمان . فاستطاع في مدة قصيرة أن يستولي على طرابلس وصفاقس وسوسة وقابس وبلاد الجريد وجبل نفوسة وقصور إفريقيا وما والاها(٢٠٠) .

حاول غليالم الأول أن ينقذ المهدية ؛ فأرسل إليها أسطولاً ضخما يتكون من مئة وخمسين شينيا غير الطرائد(٢٠١) . وكان هذا الأسطول قد قدم من جزيرة يابسة ،إحدى جزر البليار ، وقد سبى أهلها وأسرهم وحملهم معه ، فأرسل إليه غليالم الأول يأمرهم بالاتجاه إلى المهدية ليمدوا إخوانهم الذين بها ، فقدموا في الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة ٥٥٤هـ (١١٥٩م) ، فلما قاربوا المهدية حطوا قلاعهم ليدخلوا الميناء ، فخرج إليهم أسطول عبد المؤمن بن علي ، واقتتلوا في البحر ، فانهزمت شواني النورمان وأعادوا القلاع وساروا ، وتبعهم المسلمون ، فاتخذوا منهم سبع شوان(٢٠٢) . ويقول المؤرخ السلاوي تعليقاً على هذه المعركة «**وكان أمراً عجيباً وفتحاً غريباً**»(٢٠٣) .

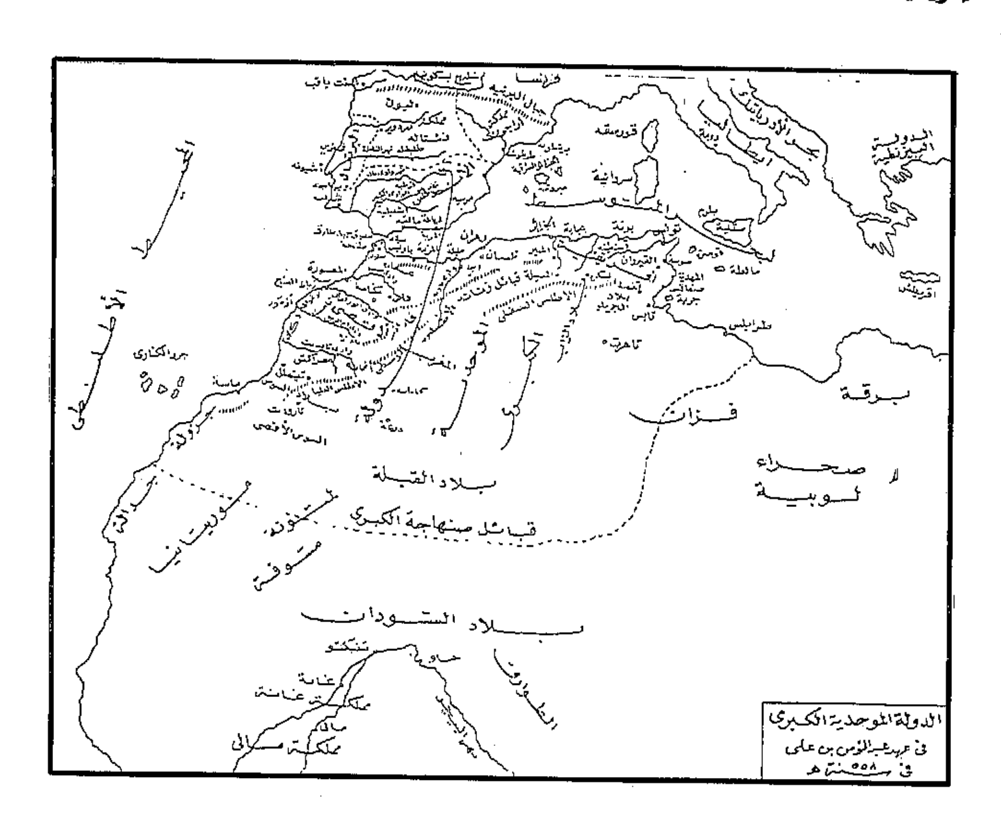
وهنا اتخذ غليالم الأول خطوة خطيرة حينما قرر أن يترك المهدية لمصيرها المحتوم ، حي ليتفرغ لمواجهة أطماع كل من مانويل الأول وكومنين امبراطور

الدولة البيزنطية وفريدريش وياربارוسا إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، إذ تطلع كل منها إلى احتواء إيطاليا ، ووضع التاج الإمبراطوري على رأسه بمباركة البابوية[٢٠٤] . وهكذا يئست حامية المدينة من النجدة ، ولهذا قرروا أن يتصلوا بعبد المؤمن بن علي ليطلبوا الأمان ، فأرسلوا عشرة فرسان ليفاوضوا عاهل الموحدين ، **«في أن يؤمنهم على أرواحهم وأموالهم وأن يعودوا إلى بلادهم ، فعفا عنهم – وكان الفضل شيمته – وأعطاهم سفنا ركبوا فيها وساروا وكان الزمن شتاء فغرق أكثرهم ، ولم يصل إلى صقلية إلا النزر اليسير»** . ومما لاشك فيه ، أن قرار عبد المؤمن بن علي بالعفو عن هؤلاء النورمان كان قراراً حكيماً ، إذ كان غليالم الأول قد قرر أن يقتل جميع المسلمين في صقلية إذا أقدم الخليفة الموحدي على قتل النورمان المحاصرين في المهدية **«فأهلك الفرنج غرقاً»**[٢٠٥] . وبذلك أنهى عبد المؤمن بن علي المغامرة النورمانية في شمال إفريقية .

وكانت مدة استيلاء النورمان على المهدية اثنتي عشرة سنة . فدخلها عبد المؤمن بن علي ظافراً صبيحة يوم عاشوراء من المحرم سنة ٥٥٥هـ (٢١ يناير ١١٦٠م) ، فكان يقال لهذه السنة سنة الأخماس[٢٠٦] . ويقول المراكشي معلقاً على انتصار الخليفة الموحدي : **«فمحا الله به الكفر من إفريقية ، وقطع عنها طمع العدو ، فانتبه بها الدين بعد خموله ، وأضاء كوكب الإيمان بعد انطماسه وأفوله»**[٢٠٧] . ولا شك أن انتزاع المهدية من النورمان ، وتطهير إفريقية منهم على يد عبد المؤمن بن علي يعد من الأعمال الخالدة التي قام بها لخدمة دينه .

أقام عبد المؤمن بن علي في المهدية عشرين يوماً حتى رتب أحوالها ، وأصلح ما انثلم من سورها ، ونقل إليها الذخائر والأقوات والرجال والعتاد ، واستخلف عليها أبا عبد الله محمد بن فرج الكومي ، وجعل معه الحسن بن علي الذي كان صاحبها ، وأمره أن يقتدي برأيه في أفعاله ، وأقطع الحسن بها إقطاعاً ،

وأعطاه دوراً نفيسة يسكنها ، وكذلك فعل بأولاده . «وصفت إفريقية كلها لعبدالمؤمن بن علي ، ودخل أهلها في طاعته ، من برقة إلى تلمسان ، ولم يبق لها بها منازع ، ففرق فيها عماله وقضاته وضبط ثغورها وأصلح شؤونها وثنى عنانه إلى المغرب أول صفر من السنة المذكورة آنفاً ، وانقطعت عادية النورمان عن بلاد إفريقية مدة مديدة»(٢٠٨) .



نقلاعن : علام ، المرجع السابق ، ص ٢١٨

وهكذا استطاع عبد المؤمن بن علي بظفره على بني حماد في المغرب الأوسط وعلى النورمان الذين كانوا قد احتلوا شاطئ إفريقية الشمالي ، واستولوا على تونس والمهدية ، أن يدفع حدود دولته من الشرق إلى ما وراء القيروان ، وأصبح بذلك متاخماً للفاطميين أصحاب مصر(٢٠٩) .

وعلى الجانب الآخر فإن فقدان المهدية أدى إلى اتهام بطرس ، قائد الأسطول الصقلي ، من قبل خصومه ، بالخيانة والتقاعس في إنقاذ المهدية ، ولكننا نستطيع أن نستخلص مما ذكره التيجاني في هذا الصدد أن الأسطول الصقلي لم يصل إلى المهدية إلا متفرقاً «بحكم النوء» ، وأن المسلمين هاجموه قبل أن يكون لديه الوقت الكافي للتجمع مرة أخرى(٢١٠) . ويخيل لنا أن هذا هو التفسير الصحيح لما حدث إذ لا نجد ذكراً لأي إجراء تأديبي تم اتخاذه ضد هذا القائد لدى عودته إلى صقلية ، بل على العكس من ذلك ازدادت حظوته لدى غليالم الأول ، فرقي وشغل مناصب رفيعة لمدة طويلة بعد ذلك .

أما كبير وزراء صقلية ، مايوني ، فقد اتهموه كذلك بأنه ترك المهدية لقدرها ، فخان القضية النصرانية ، واتهموه ضمن تهم كثيرة ، بأنه أشار على غليالم الأول بالانسحاب من المهدية وغيرها من المدن الإفريقية ليجنب الخزانة الصقلية أعباء مالية لا طائل تحتها . وربما كان لهذه الحقائق دورها ، ولا شك أن الاحتفاظ بالمهدية لم يكن ليؤدي إلى إعادة احتلال الشاطئ الإفريقي . إذ كان هناك كثير من المخاطر إذا فكر النورمان في قتال عبد المؤمن بن علي ولاسيما أنه كانت هناك غزوة من الشمال تهدد صقلية يقودها فرديريش بارباروسا ، ولكن مثل هذه الحقائق قد يساء فهمها بواسطة النبلاء النورمان والكهنة والحسودين . ومن المؤكد أن سقوط المهدية أضاف كثيراً إلى عدم شعبية مايوني وساعد على اشتعال التمرد ضد غليالم الأول(٢١١) .

حملات النورمان على مصر وجزر البليار

وفي سنة ٥٦٢هـ (٢٨ أكتوبر ١١٦٦م) توفي غليالم الأول فخلفه في الحكم ابنه غليالم الثاني الذي كان بعكس أبيه، محبوبا في صقلية، وهو يعرف في التاريخ باسم غليالم الطيب[٢١٢] . وحينما ارتقى العرش لم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من العمر، ويبدأ حكمه الحقيقي في سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م) .

وعلى الرغم من معارضة وزرائه، جهز غليالم الثاني حملات عبر البحر المتوسط ضد أراضي المسلمين . وكانت هذه السياسة، فيما يبدو، تحدوها دوافع دينية في المقام الأول . ومع أنها كانت ترمي إلى إحداث ضغط لحماية تجارة صقلية مع المشرق، إلا أن أهدفها الأساسية كانت تأمين خطوط المواصلات بين أوروبا وبلاد الشام، وتوفير الحامية النورمانية للجماعات النصرانية في المشرق[٢١٣] .

وفي غضون فترة حكم غليالم الثاني تكررت الغارات على ساحل مصر، فأغار النورمان على دمياط في سنة ٥٦٥هـ(١١٦٩م) . وفي سنة ٥٧٠هـ (١١٧٤م)، قام أسطول صقلي ضخم، قوامه مائتان وثمانون شينيا على متنها ثلاثون ألف رجل وألف وخمسمائة حصان، بمهاجمة الإسكندرية، إلا أنه لم يستطع أن يحرز تقدماً يذكر، بفضل تحصينات المدينة والقوة العسكرية المصرية التي أعدها السلطان صلاح الدين الأيوبي[٢١٤] . كما أغار الأسطول الصقلي على تنيس مرتين ما بين سنتي ٥٧١ و ٥٧٤هـ (١١٧٥ و١١٧٨م)، وعاث بالمدينة في الغارة الأخيرة .

وفي سنة ٥٧٧هـ (١١٨١م) أرسل غليالم الثاني وحدة بحرية خاصة ضد جزر البليار التي كانت عندئذ في قبضة بني غانية المرابطين . ولم تسفر هذه

الحملة عن أية نتائج ، إذ إن الجنوبيين حلفاء النورمان أبرموا صلحاً مع بني غانية[٢١٥] .

وهذا ومن المعلوم أن غليالم الثاني كان من بين أول من حمل الصليب عند بدء الحملة المعروفة باسم الحملة الصليبية الثالثة ٥٨٥-٥٨٨هـ (١١٨٩-١١٩٢م) ، ومع أنه لم يتمكن من المشاركة فيها شخصياً ، وتوفي في سنة ٥٨٥هـ (١١٨٩م) ، إلا أن مقدم أسطوله مارجرتيوس margaritus أبلى في الأعمال الحربية النصرانية قرب مدينة اللاذقية[٢١٦] .

معاهدة سلام بين النورمان والموحدين

وإذا استثنينا الغارات التي حدثت من حين لآخر فإن خليفتي رجار الثاني - غليالم الأول وابنه غليالم الثاني - لم يتمكنا من مواصلة سياسته تجاه إفريقية ؛ فثورات البربر التي أدت إلى ضياع المدن ، كانت كافية لتحذيرهما من مغبة المخاطرة . وفي عهد غليالم الثاني كان على خليفة الموحدين أن يناضل ضد الثورات التي قامت بها قبائل البربر وأمراؤهم في إفريقية ، وهم الذين رحبوا بمجيئهم يوماً بكل حماس . وكان غليالم الثاني يميل إلى فتح باب المفاوضات مع الموحدين . فقد كانت المصالح الصقلية تستدعي إنهاء حالة الحرب التي عرضت السواحل الإيطالية لهجمات المسلمين ، وأغلق الأسواق الإفريقية في وجه القمح الصقلي . وكانت إفريقية التي اجتاحتها الأوبئة والمجاعات قد احتاجت إلى السلام كذلك . ولذلك عندما وصل مبعوث غليالم الثاني إلى المهدية سنة ٥٧٦هـ (١١٨٠م) كان الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف (٥٨٨-٥٨٠هـ/ ١١٦٣-١١٨٤م) مستعداً لمنحه بعض التنازلات[٢١٧] .

وهكذا تم توقيع معاهدة سلام بين الطرفين ، وتعهد الخليفة الموحدي بأن يدفع مبلغاً سنوياً إلى الخزانة الصقلية ، ولم يكن هذا يعني التبعية السياسية ، ولكنه كان ثمن حماية التجار المسلمين الذين يشترون القمح والمواد الأخرى من صقلية لتكفي الأهالي في إفريقية . وحصل الصقليون على حق بناء الصوامع في المدن الإفريقية . وحافظ الطرفان على هذه المعاهدة لمدة عشر سنوات أكثر من المدة المحددة رغم تدخل غليالم الثاني في كثير من الأوقات في الشئون السياسية لجزر البليار ، حيث ساعد أعداء الموحدين هناك[٢١٨] .

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، وأشكره على توفيقه ، حيث يسر لي سبل إخراج هذا البحث ، وقد توصلت إلى بعض النتائج ومن أهمها :

- كان المغرب العربي قبل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) يتكون من دويلات متنافرة متناحرة ، وقد بعثرت هذه الدويلات قوى المغاربة في صراع داخلي وتركت المغرب عرضة للخطر الداخلي الأكبر وهو الغزو الهلالي ، والخطر الخارجي الأكثر ضراوة وهو الزحف النورماني .
- إن استقرار النورمان في جنوب إيطاليا كان لابد وأن يقودهم إلى احتلال جزيرة صقلية ومدن الشمال الإفريقي .
- وقد كان للنورمان ، في بداية الأمر ، مصالح في التجارة مع تلك المدن ، فلم يشتركوا في غزوات المدن الإيطالية لها ، وصرفوا الصليبين عنها ، ونقشوا آية من سورة الصف في عملتهم لتجد قبولاً في أسواقها .
- غير أن محاولة بني زيري احتكار النقل البحري وإخفاقهم في حماية سفن النورمان كثيراً ما كانت تؤدي إلى توتر العلاقات بين الفريقين ، وقد حاول الزيريون الوقوف في وجه النورمان بالتحالف مع المرابطين .
- كان المرابطون يتشوقون إلى السيطرة البحرية على غربي البحر المتوسط وقد واتتهم الفرصة حينما تحالفوا مع بني زيري في العقد الثاني من القرن السادس الهجري . وغزا أسطولهم سواحل صقلية وإيطاليا . ولذلك شرع النورمان في احتلال موانئ بلاد بني زيري . فما انتصف القرن السادس حتى كانت الموانئ من طرابلس إلى بونة تحت الاحتلال النورماني .
- وهكذا تقلصت تجارة تلك المدن وقضي على المهدية كمركز أساسي للتجارة البحرية ، واحتلت تونس مكانتها إذ استطاع بنو خراسان الذين استقلوا بها

فرض الأمن فيها وحافظوا على علاقات طيبة مع صقلية وفتحوا مدينتهم لتجار المدن الإيطالية .

- ولا شك في أن ما يسر الأمر بالنسبة للنورمان فضلاً عن سوء الأحوال الاقتصادية في إفريقية توالي أعوام القحط والجفاف وانشغال المرابطين في تلك الفترة بقيام الموحدين الذين قضوا نهائياً على دولة المرابطين سنة ٥٣٩هـ (١١٤٦م) . ولم يتفرغ الموحدون للنورمان إلا بعد ذلك ببضع عشرة سنة حينما توطد سلطانهم .

- قام الخليفة الموحدي الأول عبد المؤمن بن علي سنة ٥٤٦هـ (١١٥١م) بعمليات عسكرية ، برية وبحرية ، واسعة النطاق انتهت بتوحيد المغرب العربي لأول مرة في تاريخه منذ أن افتتحه العرب .

الهوامش

(١) الجندي (جمعة محمد مصطفى) : حكم النورمان في صقلية ، ٤٨٤-٥٨٦هـ/ ١٠٩١-١١٩٤م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص أ ،هـ١ .

(٢) فشر (هـ . أ . ل) : تاريخ أوربا ، العصور الوسطى ، نقله إلى العربية محمد مصطفى زيادة ، والسيد الباز العريني ، جـ١ ، القاهرة ١٩٦٩م ، ص١١٥ .

(٣) العدوي (إبراهيم أحمد) : المجتمع الأوربي في العصور الوسطى ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦١م ، ص٩٣ .

(٤) عن تسمية النورمان بالأردمانيين انظر ابن حيان : المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، جـ٢ ، تحقيق د .محمود علي مكي ، بيروت ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ، صفحات ٢٣ ،٦٧، ٧٨، ٩٣٣ .

(٥) عن تسمية النورمان بالمجوس انظر المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، جـ١ ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) ، صفحات ١٦٧ ، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٠ ، ٣٨٣ . وكذلك ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق إبراهيم الإبياري وآخرون ، القاهرة ، ١٩٥٤م ، ص١٣٨ ، وأيضاً ابن حيان : المصدر السابق ، صفحات ٢٧ ،٢٨، ٥٨ .

(٦) مؤنس (حسين) : «غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتي ٢٢٩ ، ٢٤٥ هـ» المجلة التاريخية المصرية ، مايو ١٩٤٩ ، عدد١ ، مج٢ ، ص٢٤ .

(٧) عاشور (سعيد عبد الفتاح) : تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، ط٨ مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ج١ ، ص٣٢١ .

(٨) هو Charle, III, Le Simple ملك فرنسا ٢٨٠-٣١١هـ (٨٩٣-٩٢٣م) .

(٩) الشيخ (محمد محمد) : **«الفتح النورماني لإنجلترا ، ملحمة فريدة في تاريخ إنجلترا ونورمانديا في العصور الوسطى»** ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط تحرير د .قاسم عبده قاسم ، ود .رأفت عبد الحميد ، مج٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٢٤٢ .

(١٠) Runciman (S.), The Sicilian Vespers, London, 1961, P. 19.

(١١) بدأ المسلمون في فتح صقلية على يد زياد الله بن إبراهيم الأغلب والي إفريقية ٢٠١-٢٢٣هـ (٨١٦-٨٣٧م) ، الذي أرسل حملة بقيادة قاضي القيروان الفقيه أسد بن الفرات سنة ٢١٢هـ (٨٢٧م) . إلا أن المسلمين لم يتمكنوا من إتمام فتح صقلية إلا عام ٢٩٠هـ (٩٠٢م) . لمزيد من التفصيل انظر : [الطالبي (محمد)] : الدولة الأغلبية ١٨٤-٢٩٦هـ (٨٠٠-٩٠٩م) نقله إلى العربية المنجي الصيادي ، ط١ ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص٤١٥-٥٥٩ ؛ (سالم السيد عبد العزيز) : المغرب الكبير ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١م ، جـ٢ ،

ص٣٨٥-١٤٠٦ ؛ (الجندي : المرجع السابق ، ص٢٤ ، هـ١) .

(١٢) Curtis (M.A.E.), Roger of Sicily and the Normans in Lawer Iitaly, 1010-1154, G.P. Putnam's Sons, New York and London, 1912, P. 62.

(١٣) طالعنا الجغرافيون والرحالة المسلمون المعاصرون بالكثير من اقتصاديات صقلية ، وازدهارها أثناء الحكم الإسلامي لها . عن ذلك انظر : الأنصار : نخبة الدهر وعجائب البر والبحر في : (Amari, (M), Biblioteca Arabo- Sicula, Leipzig, 1857, 11, P. 145 146).

والقزويني : عجائب المخلوقات وغرائب المخلوقات في (Ibid, P. 133) ؛ الزهري : كتاب الجغرافيا في (Ibid PP. 159-160) ؛ ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص١١٣-١١٢٥ ؛ الحميري : **«منتخبات من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار خاصة بالجزر والبقاع الإيطالية»** ، تحقيق أمبرتو رتيزيتانو ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مج١٨ ، ج١ ، مايو ١٩٥٦م ، ص١٥٩ .

(١٤) Runciman, Op. cit., P. 20.

(١٥) لوبون (غوستاف) : حضارة العرب ، نقله إلى العربية عادل زعيتر ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، ص٣٧٦ .

(١٦) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ط٣ ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٩٣م ص١٠٩ .

(١٧) أحمد (عزيز) : تاريخ صقلية الإسلامية ، نقله إلى العربية د .أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٩٨٠م ، ص٥٨ .

(١٨) هوروجر الأول Rogerius I ، الذي عرفه المسلمون باسم رجار بن تنقرين ، تولى حكم صقلية بين سنتي ٤٨٤-٤٩٥هـ (١٠٩١-١١٠١م) ويصفه الإدريسي بـ **«الملك الأجل والهمام الأفضل ، المعظم القدر ،السامي الفخر - خيرة ملوك الإفرنجيين»** انظر : نزهة المشتاق ، مج٢ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة د .ت ، ص٥٨٩) .

(١٩) Curtis, Op. cit., P. 62.

(٢٠) هي مدينة باليرمو Palermo . يقول الرحالة ابن جبير في وصفها : **«هي بهذه الجزائر أم الحضارة ، الجامعة بين الحسنيين غضارة ونضارة ، فما شئت بها من جمال مخبر ومنظر ومراد عيش يانع أخضر ، عتيقة أنيقة مشرقة مونقة ، تتطلع بمرأى فنان ، تتخايل بين ساحات وبسائط كلها بستان ، فسيحة السكك والشوارع ، تروق الأبصار بحسن منظرها البارع ، عجيبة الشأن قرطبية البنيان»** انظر : (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار في مصر وبلاد المغرب والعراق والشام وصقلية ، عصر الحروب الصليبية ، تحقيق د .حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص٣٢٢) ؛ وللمزيد من التفاصيل عن باليرمو ، انظر : (الإدريس ، المصدر السابق

مج٢ ، ص٥٩٠-٥٩٢) ، وكذلك (بنيامين التطيلي ، رحلة بنيامين ، ترجمها عن الأصل العبري وعلق على حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد ، بغداد ، ١٩٤٥م ، ص١٨١) .

(٢١) لوبون : المرجع السابق ، ص٣٧٦ .

(٢٢) هو Leo IX تولى منصب البابوية سنة ٤٤٠هـ (١٠٤٨م) حتى سنة ٤٤٦هـ (١٠٥٤م) .

(٢٣) هو Costantine Monamachus تولى الحكم سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م) حتى سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥م) .

(٢٤) في هذا الكتاب يقول البابا : «يكاد قلبي يتفطر من الأخبار المحزنة التي أنبأني بها رسل ابني ارجيروس ، فعزمت على تطهير إيطاليا من ظلم هؤلاء الأجانب النورمان المردة الأشرار الزنادقة الذين لا يحترمون شيئاً عند اندفاعهم ، والذين يذبحون النصارى ويسومونهم أشد العذاب غير راحمين ولا مفرقين بين الجنسين والأعمار والذين ينهبون الكنائس ويحرقونها ويهدمونها ، والذين يعدون كل شيء فريسة يباح سلبها ، والذين أكثرت من لومهم على فسادهم ومن إنذارهم بسوء أحكامي وخوفتهم من سخط الرب ، فلم يزدهم ذلك إلا عتواً ، فكان أمرهم كقول الحكيم إنّ من يتركه الرب يظل خبيثاً على الدوام وإن من يكن مجنوناً لا يصلحه الكلام ، فتراني قد عزمت على شهر الحرب الدينية المشروعة على هؤلاء الغرباء الثقلاء الذين أمعنوا في الظلم فصار أمرهم لا يطاق ، وذلك دفاعاً عن الشعوب والكنائس» انظر ، المرجع السابق ، ص٣٧٣) .

(٢٥) نفسه ، ص٣٧٦ .

(٢٦) قد يساعد على فهم ما نحن بصدده أن نذكر هنا عبارة للجغرافي المسلم الإدريسي في وصف تسامح رجار الأول مع المسلمين ونصها : «لما صار أمرها (أي صقلية) إليه واستقر بها سرير ملكه نشر سيرة العدل في أهلها وأقرهم على أديانهم وشرائعهم وآمنهم في أنفسهم وأموالهم وأهليهم وذراريهم ثم أقام على ذلك مدة حياته . .» انظر كتاب (نزهة المشتاق ، ص٤) ؛ وكذلك (الجندي ، المرجع السابق ، ص٥٠-٥١) .

(٢٧) زيتون (عادل) : العلاقات السياسية والكنسية ، بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني ، في العصور الوسطى ، ط١ ، دار دمشق للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٩٨٠م ، ص١٤٢ . ومن أنصار هذا الاتجاه المؤرخ إرنست باركر Ernest Barker الذي يذكر في كتاب (الحروب الصليبية ، نقله إلى العربية د . السيد الباز العريني ، ط٤ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص١٨) أن استيلاء النورمان على صقلية يصح أن يطلق عليه أنه حرب صليبية قبل الحروب الصليبية . وكذلك :

Stephenson (C)., Medieval History, 3rd ed, New York, 1951, P. 192-3.

Haskins (C. H) the Normans in European . History, London, 1953, P. 208.

(٢٨) سمي الساحل الشمالي من قارة إفريقية منذ القدم ، عدا مصر ، بأسماء مختلفة ، فكان

هيردوت يطلق لفظ إفريقيا على كل ما يلي مصر غرباً حتى المحيط الأطلسي ، وعندما تغلب الرومان على الفينيقيين أطلقوا اسم إفريقيا على قرطاجة وما حولها وهي بلاد تونس الحالية ، ثم اتسع لفظ إفريقيا فشمل ما تحت سلطة الروم من برقة إلى طنجة . وعندما بدأ المسلمون فتحهم للشمال الإفريقي أطلقوا لفظ إفريقية على ما يلي طرابلس غرباً ، ثم تحدد ذلك بعد الفتح فأصبح يشمل الإقليم الذي تتوسطه القيروان ويتسع من طرابلس حتى بجاية .

(٢٩) ينتمي بنو زيري إلى قبائل بربر صنهاجة الذين كانوا يقطنون القسم الأوسط من بلاد المغرب ، وقد عرفوا من أول عهدهم بإخلاصهم للفاطميين ، لذلك فإن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي حين غادر المغرب واتجه إلى مصر عين بلكين بن زيري - أحد زعمائهم - حاكماً لإفريقية . غير أن الظروف أثبتت أنه ليس في مقدور شخص واحد أن ينفرد بحكم هذه الرقعة الشاسعة ، وآية ذلك حدث نوع من التقسيم للمغرب في عهد حفيده باديس آلت بمقتضاه المناطق الغربية إلى بني حماد ، أحد فروع أسرة بني زيري الذين اتخذوا من قلعة «بني حماد» عاصمة لملكهم ، بينما احتفظ الفرع الرئيسي من بني زيري بولاية إفريقية بما في ذلك عاصمتها القيروان . انظر : بوزورث(ك .أ .) (Bosuorth,C.E.) : الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، دراسة في التاريخ والأنساب ، ترجمة حسين علي اللبود ، مراجعة سليمان إبراهيم العسكري ، ط٢ ، القاهرة ١٩٩٥م ، ص٥٢ .

(٣٠) مؤنس (حسين) : تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس ، ط٢ ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص١٦٧ .

(٣١) طبرمين أو تاورمينا Taormina «وهو حصن منيع وبلد شامخ رفيع من الحصون الأزلية ، وهو جبل مطل على البحر وله مرسى حسن والسفر إليه من كل الجهات» انظر : (الإدريسي : مج٢ ، ص٥٩٥-٥٩٦) .

(٣٢) ريتسيتانو (أومبرتو) : «النورمنديون وبنو زيري من الفتح النورماندي لصقلية حتى وفاة رودجيرو الثاني (٤٥٣-٥٤٨هـ/ ١٠٦١-١١٤٥م» مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مج ١١ ،جـ١ ، مايو ١٩٤٩م ، ص١٧٩ .

(٣٣) سالم (السيد عبد العزيز) ، العبادي (أحمد مختار) : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص٢٠٤ .

(٣٤) الشواني جميع «شيني» أو «شونة» أو «شينية» ، وهي من أهم القطع التي كان يتألف منها الأسطول النورماني . والشواني سفن حربية كبيرة تجدف بمائة وأربعين مجدافا ومزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم ، وتحتوي على «إهراء» لخزن القمح وصهاريج لخزن الماء العذب . وقد كان متوسط ما يحمله الشيني الواحد ما يقرب من مائة وخمسين رجلاً . انظر : (ابن مماتي : قوانين الدواوين ، نشر عزيز سوريال عطية ، القاهرة ،١٩٤٣م ،ص٣٤) ، وكذلك

[عبادة (عبدالفتاح)، سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام، القاهرة، ١٩١٣م، ص٦]. وقد وصف ابن حمديس الصقلي الشواني الحربية وأبراجها التي يقذف النفاطون منها النفط الأبيض على العدو، فقال مخاطباً الأمير الزيري الحسن بن علي:

أنشأت شواني طائرة   وبنيت على الماء مدنا
ببروج قتال تحسبها   في شم شواهقها قننا
ترمي ببروج، إن ظهرت   لعدو محرقة بطنا
وبنفط أبيض تحسبه   ماء وبه تذكى السكنا

انظر: (ديوان ابن حمديس، صفحات ٤٤٧-٥٢٧، صححه وقدم له د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٥١٣، قصيدة رقم ٣٢٠، أبيات ٥٤-٥٧).

(٣٥) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ١٠، ص١٦٦. ويقدر ابن عذاري عدد القطع البحرية التي قامت بعملية الإنزال بحوالي ثلاثمائة مركب حربي تحمل على متنها ما يقرب من ثلاثين ألف مقاتل. انظر: (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، جـ١، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م)، ص٣٠١.

(٣٦) ابن عذاري، نفس المصدر والصفحة.

(٣٧) هو تميم بن المعز بن باديس، ولد بالمنصورة في منتصف رجب سنة ٤٢٢هـ (١٠٣٠م)، وولي الحكم في صفر من سنة ٤٤٥هـ (١٠٥٣م)، وتوفي سنة ٥٠١هـ (١١٠٧م)، وكان عمره تسعاً وسبعين سنة، وكانت ولايته ستا وأربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً. انظر: (ابن الأثير: المصدر السابق، جـ١٠، ص٤٤٩-٤٥١). وكذلك (ابن عذاري: المصدر السابق، ص٢٩٨، ٣٠٣).

(٣٨) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ١٠، ص٢٧٢-٢٧٣.

(٣٩) ريتسيتانو: المرجع السابق، ص١٨١.

(٤٠) هو يحيى بن تميم بن المعز، ولد بالمهدية سنة ٤٥٧هـ، ١٠٦٤م)، وولي الحكم سنة ٥٠١هـ (١١٠٧م)، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة، وكان حاذقاً بتدبير دولته، ساهرا على سياسة رعيته، كثير المطالعة لكتب السير والأخبار، أديباً شاعراً ذا حظ من اللغة. وتوفي سنة ٥٠٩هـ (١١١٥م) فجأة مقتولاً في قصره بالمهدية، فكانت مدة ملكه ثماني سنين وستة أشهر. انظر: (ابن عذاري: المصدر السابق، ص٣٠٤). وقارن (ابن الأثير: المصدر السابق، جـ١، ص٥١٢-٥١٣).

(٤١) ريتسيتانو: المرجع السابق، ص١٨٣.

(٤٢) مؤنس (حسين): تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ط١، القاهرة، ١٩٩١م، ص٩٣؛ وكذلك لويس: المرجع السابق، ص٣٧٥-٣٨٦.

(٤٣) Wieruszowski, (H.), "The Norman Kingdom of Sicily and the Crusades", in K. M. Setton, A History of the Crusades, 11, the Later Crusades 1189-1311, ed. R.L. Wolf and H. W. Hazard, Madison, 1969, P. 18.

(٤٤) سالم والعبادي: المرجع السابق، ص ٢١١ .

(٤٥) وفي هذا الشأن يقول ابن عذاري: «وسعة البحر فيما بين سبتة والأندلس، ثمانية عشر ميلاً، ثم لا يزال يضيق إلى أن ينتهي ذلك من عدوة البربر إلى موضع يدعى قصر مصمودة بينه وبين سبتة نصف يوم، ومن جزيرة الأندلس إلى موضع يدعى جزيرة طريف، مقابلاً لقصر مصمودة المذكور، فأضيق ما يكون البحر هناك، وسعته فيما بين هذين الموضعين اثنا عشر ميلاً، ترى رمال كل واحد من الشطين من الآخر في كل وقت من أوقات النهار» . انظر: (البيان المغرب، جـ١، ص٤٤٩) .

(٤٦) المدني (أحمد توفيق): المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٦٩م، ص٨ .

(٤٧) مؤنس: المرجع السابق، ص١٧٨ .

(٤٨) الطيبي (أمين توفيق): دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية، جط١، ليبيا، ١٩٩٠م، ص٧٠؛ يحيى (جلال): المغرب الكبير، دلر النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، جـ٣، ص١٩ .

(٤٩) Brooke, Z.N., A History of Europe 911 - 1189, 2nd ed., London, 1947, P.33.

(٥٠) الطيبي، المرجع السابق، ص٢٥ .

(٥١) Runciman, Op. cit., P. 21.

(٥٢) هو رودجيرو الثاني Rogerius 11 (كونت ٤٤٩-٥٢٤هـ/ ١١٠٥-١١٢٩م)؛ (ملك ٥٢٥-٥٤٩هـ/ ١١٣٠-١١٥٤م) . ويلقبه الإدريسي بـ «الملك المعظم رجار المعتز بالله، المقتدر بقدرته، ملك صقلية وإيطاليا وانكبردة وقلورية، معز إمام رومية الناصر للملة النصرانية» انظر: (نزهة المشتاق، مج١، ص٤) . أما المراكشي (عبد الواحد) فيطلق عليه اسم «الوجار بن لوجار المعروف بابن الدوقة الرومي صاحب صقلية» ، انظر: (المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه وعلق على حواشيه وأنشأ مقدمته محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط٧، دار الكتب، الدار البيضاء ١٩٧٨، ص٣٣٣-٣٣٤) .

(٥٣) Haskins, Op. cit., P. 210.

(٥٤) يصف الإدريسي رجار الثاني بأنه: «خير ملوك الروم بسطاً وقبضاً، وصرف الأمور على إرادته» . وبالإضافة إلى ذلك فإنه «قام بأسباب مملكته أحسن قيام، وأجرى سنن دولته على أفضل نظام وأجمل قيام، وأفتتح البلاد شرقاً وغرباً، وأذل رقاب الجبابرة من أهل ملته بعداً وقرباً» واستطرد الإدريسي يقول إنه «جمع إلى كرم الأخلاق طيب الأعراق وإلى جميل الأفعال حسن

الخلال مع شجاعة النفس وصفاء الذهن وغور العقل ووفور الحلم وسداد الرأي والتدبير والمعرفة بتصاريف الأمور من نهاية الفهم الثاقب ، ومراميه كالسهم الصائب ، ومقفلات الخطوب مستفتحة لديه ، وجميع السياسات وقف عليه» انظر : (نزهة المشتاق ، مج ١ ، ص ٤) .

(٥٥) Runciman, Op. cit., P. 21.

(٥٦) عن بني هلال وبني سليم ، انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٩ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) ، ص٥٦٦-٥٧٠ ؛ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص١٠٥-١٠٦ ؛ حسن (حسن علي) : «الغزو الهلالي للمغرب ، أسبابه ونتائجه» المجلة التاريخية المصرية ، مج ٢٤ ، القاهرة ١٩٧٧م ، ص١٠٣-١٥٤ ؛ سالم : المرجع السابق ، ص٦٦٦-٦٧٣ ؛ بروكلمان (كارل) : تاريخ الشعوب الإسلامية ، جـ٢ ، نقله إلى العربية ، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٤٩م ، ص١٨٤-١٨٥ .

(٥٧) سالم والعبادي : المرجع السابق ، ص١٩٦ .

(٥٨) لويس (أرشيبالدر) : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، (٥٠٠-١١٠٠م) ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص٣٨٥ .

(٥٩) نبعت حركة المرابطين (٤٤٨-٥٤١هـ/ ١٠٥٦-١١٤٧م) في المغرب الأوسط ، وجعلت شعارها نشر الإسلام والدفاع عنه عن طريق الدعوة إليه بين الوثنيين ، كما جعلت شعارها المرابطة في الثغور للدفاع عن بلاد الإسلام ، ومن هذا أتى اسم المرابطين . ولقد كان لروادها الأوائل فضل كبير في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية جنوب الصحراء الجزائرية ، كما كان لهم شرف الدفاع عن الإسلام وحماية المسلمين من الأعداء ، وقد برز من زعمائها الأوائل يوسف بن تاشفين (٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) الذي تمكن من أن يرأب الصدع في الحركة المرابطية وأن يعيد توحيد المرابطين تحت قيادته وأن يسير في بناء الدولة المرابطية إلى الغاية المنشودة ، وهي تأسيس دولة ضمت القسم الأكبر من شمال إفريقية ، مع التوسع نحو الجنوب والجنوب الغربي والجنوب الشرقي ، ونشر الإسلام والدفاع عنه . للمزيد من التفاصيل عن هذه الحركة انظر : [حمادة (محمد ماهر) : الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية (٦٤-٨٩٧هـ/ ٦٨٣-١٤٩٢م) دراسة ونصوص ، ط١ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤٠٠هـ ، (١٩٨٠م) ، ص٦٧ ؛ وكذلك (بوزورث ، المرجع السابق ، ص٥٤-٥٥)] .

(٦٠) قامت حركة الموحدين (٥٢٤-٦٦٧هـ/ ١١٣٠-١٢٦٩م) في السوس الأقصى من المغرب الأقصى ، قادها شخص تسمى باسم المهدي وزعم لنفسه النسب القرشي ، وأنشأ مدرسة وأتباعاً وأوجد لها جهازاً متقناً لحماية الدعوة ونشرها ، وتمكن بذكائه وصرامته وشجاعته ، واستفادته من كل الظروف التي أحاطت بالمرابطين أن يثبت أقدام الدعوة الموحدية ، وأن يترك لخليفته من بعده عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ/ ١١٣٠-١١٦٣م) أن يصل بالحركة إلى نهايتها المحتومة

المعروفة وهي القضاء على المرابطين والحلول محلهم في شمال إفريقية والأندلس . وكان ظهور الموحدين يمثل نوعاً من الاحتجاج على حياة الدعة والترف التي كان عليها المتأخرون من حكام المرابطين ، انظر : (حمادة : المرجع السابق ، ص٧٩-٨٠) ؛ وكذلك (بوزورث : المرجع السابق ، ص٥٦-٥٨) .

(٦١) الطيبي ، المرجع السابق ، ص٧٤ .

(٦٢) نفسه ، نفس المرجع والصفحة .

(٦٣) نفسه ، ص٢٢١ .

(٦٤) أحمد : المرجع السابق ، ص٦٥ .

(٦٥) التيجاني : رحلة التيجاني ، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس - ليبيا - تونس ، ١٩٨٠م ، ص١٠٠ .

(٦٦) «الغراب» مفرد «أغربة» وهو من أقدم أنواع السفن الحربية ، ويبدو أن اسمها مأخوذ من اسم الغراب لأن القدماء كانوا يصنعون سفنهم على أشكال الطيور فيجعلون مقدمة السفينة على شكل رأس غراب أو شكل طير من الطيور تفاؤلاً أو إشارة إلى أنه في الماء كالطيور في السماء . انظر : (عبادة : المرجع السابق ، ص٧) .

(٦٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص٥٣٠-٦١١ .

(٦٨) ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣٠٧ .

(٦٩) نفسه نفس المصدر والصفحة .

(٧٠) ريتسيتانو : المرجع السابق ، ص١٨٤ .

(٧١) سالم والعبادي : المرجع السابق ، ص٢٤٥ .

(٧٢) هي نيكوتيرا Nicotera وتقع في قلورية (كالابريا Calabria) انظر : (الإدريسي ، المصدر السابق ، مج٢ ، ص٧٥٩) . وكذلك :

(Matthew, D. , the Norman Kingdom of sicily١ st ed. , cambridge University Press, Great Britain, 1992, P. 58).

(٧٣) ابن خلدون : كتاب العبر ، جـ٦ ، مؤسسة العلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩١هـ (١٩٧١م) ، ص١٦١ ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣٠٨ .

(٧٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص٦١٢ .

(٧٥) ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣٠٨ .

(٧٦) نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

(٧٧) هو أول من تولى منصب أمير البحر في صقلية ، ويقال إنه عربي تسمى باسم يوناني هو خريستودولوس Christodulus انظر : [هونكة (زيغريد) : أثر الحضارة العربية في أوربا ، تعريب

فاروق عيسى خوري ، ط٥ ، دار الآفاق ، بيروت ، ١٤٠١هـ (١٩٨١م) ، ص٤١٤]] .

(٧٨) يسمى Georgius Antiochenus وعرفه المسلمون باسم جرجي بن ميخائيل الأنطاكي ، وأحياناً باسم جرجير بن فلان الأنطاكي . كان قد هاجر من المشرق إلى إفريقية ، وكان قد عرف لسان العرب ، وبرع في الحساب ، وتهذب بالشام وأنطاكية وغيرها فحكم تميم بن المعز في دخله وخرجه وجعل مصاريف الأموال لنظره فصارت أموال المسلمين كلها في يده وأيدي أقاربه . . فلما مات تميم (٥٠١هـ/ ١١٠٧م) خاف هذا النصراني من أبنه يحيى ، وأعمل الحيلة في اللحاق برجار الثاني ، فلحق به وحظي عنده ، وعمل أول مرة جابياً في أحد أقاليم صقلية ، ثم أرسل ضمن بعثة دبلوماسية إلى القاهرة ، وأخيراً قائدا للأسطول الصقلي . انظر : (التيجاني : المصدر السابق ، ص٣٣٣) . وكان كثيراً ما دفعت به خبرته بالشئون الإفريقية ، ومعرفته بالأرض والناس ، وتمكنه من اللغة العربية . فرأى فيه رجار الثاني أفضل من يشن حرباً على آل زيري . وفي هذا الشأن يقول ابن عذاري : «وكان أبوه علجاً من علوج أبيه تميم ، فكان هذا اللعين عارفاً بعورات المسلمين في المهدية وغيرها» انظر : (البيان ، المغرب ، ص٣١٣) .

(٧٩) التيجاني : المصدر السابق ، ص٣٣٧-٣٣٨ .

(٨٠) هي مارسالا Marsala تقع في غرب صقلية ، يقول الإدريسي إنها : «**مدينة قديمة أزلية من أشرف بلاد صقلية . وكانت قد خربت ودثرت فعمرها القومس رجار الأول وسور عليها سوراً فحصلت ذات عمارة وأسواق وجباية ، ولها إقليم واسع ، وعمل شاسع ، وسافر أهل بلاد إفريقية إليها**» . انظر : (نزهة المشتاق ، مج٢ ، ص٦٠١) .

(٨١) التيجاني : المصدر السابق ، ص٣٣٧ .

(٨٢) قوصرة (Cossyra) اسم يوناني ، ومعناه السلة أو السفط أو الزنبيل وكان هذا الاسم قد أطلق عليها للمشابهة الموجودة بين صورة الجزيرة وتلك الأداة . انظر :[عبد الوهاب (حسن حسني) : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، ط٢ ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٨١م ، ص٢٨٢ ، هـ١)] . وتعرف اليوم باسم بنتلريه Pontelleria .

(٨٣) هي جزيرة تقع على بعد ثمانية أميال من المهدية انظر : (ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص٦١٢) .

(٨٤) هو حصن منيع وفي وسطه حصن آخر ، وهو مشرف على البحر ويقع على بعد ثمانية أميال من المهدية . انظر : (الإدريسي : المصدر السابق ، مج١ ، ص٣٠٣) .

(٨٥) التيجاني : المصدر السابق ، ص٣٣٦ .

(٨٦) نفسه ، نفس المصدر و الصفحة .

(٨٧) Wieruszouski, Op. cit., P. 21.

(٨٨) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص٣٠٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص١٦١ ؛ ابن أبي

دينار : المصدر السابق ، ص١٣٣ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١ ،ص٦١٢ .

(٨٩) ديوان ابن حمديس : المرجع السابق ، ص٢٥٢-٢٥٧ ، قصيدة رقم ١٤٣ ، أبيات ١ ،٣٧-٣٨ ،٤٠-٤١ .

(٩٠) Matthew, Op. cit., P. 58 .

(٩١) William of Tyre, A. History of Deeds Done Beyond the Sea, 11, (Trans. By E.a. Babcock and A. C. Krey), New York, 1947, P. 35

(٩٢) C. Med. H., V., P. 185.

(٩٣) عويس (عبد الحليم) : دولة بني حماد ، ط ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) ،ص١٥٦ .

(٩٤) أرسلان (شكيب) : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ(١٩٣٣م) ، ص٣٠٢ .

(٩٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص٣١ ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣١٢ .

(٩٦) ابن الأثير : المصدر السابق جـ١١ ، ص٣١ .

(٩٧) انظر ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص١١٣ .

(٩٨) عويس : المرجع السابق ، ص٩١ .

(٩٩) نفسه ، نفس المرجع والصفحة .

(١٠٠) العربي (إسماعيل) : دولة بني حماد ، ملوك القلعة وبجاية ، الشركة الوطنية للتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨٠م ، ص٢٢١ .

(١٠١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص٣١ .

(١٠٢) نفسه ، نفس المصدر ، ص٣٢ .

(١٠٣) العربي : المرجع السابق ، ص٢٢٠ .

(١٠٤) عويس : المرجع السابق ، ص١٦٢ .

(١٠٥) ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣١٣-٣١٤ .

(١٠٦) عويس : المرجع السابق ، ص١٦٣ .

(١٠٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص٣٢ ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣١٢ ؛ ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص٢٤٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، مج١ ، ص٣٠٥ .

(١٠٨) الطيبي : المرجع السابق ، ص٧٥ .

(١٠٩) يضرب ابن عذاري الأمثلة لذلك فيقول : إنه في سنة ٥٠٥ هـ (١١١١م) وصل «رسول

صاحب مصر بهدية إلى أمير إفريقية يحيي بن تميم ، فتلقاه بغاية الإكرام والاهتمام ، وأقام عنده حتى صرفه ، وأصحبه من الذخائر والألطاف ما لا يحيط به وصف» . انظر : (البيان ، المغرب ، ص٣٠٥) . ويقول في هذا المعنى أيضاً : إنه في سنة ٥١١هـ (١١١٧م) «وصل صاحب رسول مصر بهدية إلى المهدية» انظر : (نفس المصدر ، جـ١ ، ص٣٠٧) .

(١١٠) هو الحافظ لدين الله عبد الحميد بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر العلوي صاحب مصر ٥٢٤-٥٤٤هـ (١١٢٩-١١٤٩م) .

(١١١) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٦ ، ص٤٥٨-٤٦٣ . وفي هذا الشأن يقول الإدريسي إن جزيرة جربة «عامرة بقبائل من البربر ، والسمرة تغلب على ألوان أهلها والشر والنفاق موجود في جبلتهم وكلامهم بالبربرية خاصهم وعامهم ، وهم أهل فتنة وخروج عن الطاعة» . انظر : (نزهة المشتاق ، مج١ ، ص٣٠٥) .

(١١٢) الطيبي : المرجع السابق ، ص٧٦ .

(١١٣) التيجاني : المصدر السابق ، ص٣٤٠ .

(١١٤) ريتسيتانو : المرجع السابق ، ص١٨٧ .

(١١٥) Wieruszowski, Op. cit., P. 23.

(١١٦) هي مدينة على ضفة البحر المتوسط «والبحر يحيط بها ، ولها ربض ، وهي مدينة حسنة بها الألبان والسمن والعسل والزروع الكثيرة ، وبها الحوت الكثير العدد المتناهي في الطيب والقدر» .

(١١٧) انظر : الإدريسي : المصدر السابق ، مج١ ، ص٢٢٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤) .

(١١٨) ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص١١٤ .

(١١٩) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص١٠٢ . و«برشك مدينة صغيرة على تل ، وعليها سور وتراب ، وهي على ضفة البحر (المتوسط) وشرب أهلها من عيون ، ماؤها عذب . . وبها فواكه وأجمل مزارع ، وحنطة كثيرة وشعير» انظر : الإدريسي : المصدر السابق ، مج١ ، ص٢٢٢ ، ٢٥٧ ، ٢٧٢ .

(١٢٠) نفسه ، نفس المصدر ، ص١٠٦ .

(١٢١) Wieruszowski, Op. cit., P. 23.

(١٢٢) سالم والعبادي : المرجع السابق ، ص٢١٦ .

(١٢٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص١٠٩ ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، جـ٣ ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت ، ص١٨ .

(١٢٤) ريتسيتانو : المرجع السابق ، ص١٨٨ .

(١٢٥) التيجاني : المصدر السابق ، ص٢٤١-٢٤٢ .

(١٢٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص١٢٤ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ص١٩ .

(١٢٧) ريتسيتانو: المرجع السابق، ص١٨٩.

(١٢٨) يضرب ابن عذاري الأمثلة لذلك فيقول: إنه في سنة ٤٦٩هـ (١٠٧٦م): «**كانت بإفريقية مجاعة عظيمة ووباء عظيم ومات من الناس خلق كثير**». وكذلك في سنة ٤٨٣هـ (١٠٩٠م) «**غلت الأسعار بإفريقية وكانت بها مجاعة شديدة**». وأيضاً في سنة ٤٩١هـ (١٠٩٧م) «كانت بإفريقية مجاعة شديدة». انظر: (البيان، المغرب، جـ١، ص٣٠٠-٣٠٢).

(١٢٩) ابن عامر (أحمد): الدولة الصنهاجية، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢م، ص٧٧-٧٨.

(١٣٠) Wieruszowski, Op. cit., P. 23.

(١٣١) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ١١، ص١٢٠

(١٣٢) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(١٣٣) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص١١٤.

(١٣٤) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ١١، ص١٢٠.

(١٣٥) نفسه، نفس المصدر، ص١٢٥.

(١٣٦) في سنة ٥٤٢هـ (١١٤٧م)، أقلع الأسطول الصقلي من مدينة أوترانتو Otranto، الواقعة على الشاطئ الغربي للبحر الإدرياتي، بقيادة جرجي الأنطاكي، واتجه إلى جزيرة كورفو البيزنطية فاحتلها دون قتال. ثم توجه إلى ممفيسيا ولكنه فشل في احتلالها. فتوجه عندئذ نحو مدينة ميثون Methon الواقعة على ساحل البيلوبونيز- حيث تمكن النورمان من احتلالها، ثم سقطت بأيديهم العديد من المدن البيزنطية تباعاً كما اخترق الأسطول الصقلي خليج كورنث Corinth واحتل مدينة خريسون Khrisson ولم يكتف النورمان بنهب السواحل والمدن الآنفة الذكر، وإنما أنزلوا فرقا عسكرية على الشاطىء البيزنطي، وتوغلوا داخل الأراضي البيزنطية حتى وصلوا إلى مدينة طيبه Thebes فدخلوها على حين غفله من أهلها وبعد نهب المدينة اصطحبوا معهم عند مغادرتها أعداداً كبيرة من أمهر صناع الحرير وبعثوا بهم إلى بلرم. ومن طيبة اتجهوا إلى مدينة كورنث فنهبوها كذلك، وبعد أن انتهت القوات النورمانية من مهمتها عادت إلى كورفو ثانية حيث تركوا فيها حامية نورمانية، وعاد الأسطول الصقلي إلى بلاده، وسفنه مليئة بالأسلاب والغنائم. انظر: (زيتون: المرجع السابق، ص ٢٢٧-٢٣٠)؛ وكذلك) ربيع «حسنين محمد»: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط٥، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٢٢١)؛ وأيضا:

(curtis,op. cit. ,P. 400); Matthew,op. cit. P. 57.)

(١٣٧) Wieruszowki Op., cit., P. 24.

(١٣٨) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ١١، ص١٢٦.

(١٣٩) التيجاني: المصدر السابق، ص٣٤٠-٣٤١.

(١٤٠) ابن الأثير :المصدر السابق ،جـ١١ ، ص١٢٦ .
(١٤١) التيجاني : المصدر السابق ، ص٣٤١-٣٤٢ ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣١٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص١٦٢ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ص١٩ .
(١٤٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ،ص١٢٩ .
(١٤٣) Wieruszowki, Op. cit., P. 25.
(١٤٤) هو Manueli Comenus (٥٣٨-٥٧٦هـ/ ١١٤٣-١١٨٠م) .
(١٤٥) زيتون :المرجع السابق : ص٢٣٠ .
(١٤٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص١٤٥
(١٤٧) نفسه ، نفس المصدر ، والصفحة .
(١٤٨) نفسه ، نفس المصدر والصفحة .
(١٤٩) نفسه ، نفس المصدر والصفحة .
(١٥٠) Wieruszowki, Op. cit., P. 26.
(١٥١) ذكر الإدريسي أن للمهدية (عامل من قبل الملك المعظم رجار) انظر : (نزهة المشتاق ، مج١ ، ص٢٨١) .
(١٥٢) Wieruszowki, Op. cit., P. 26.
(١٥٣) Ibid.
(١٥٤) Idem, P. 27.
(١٥٥) رينالدى (لويجي) : «المدينة العربية في المغرب» مجلة المقتطف ، مج٥٩ ، القاهرة ١٩٢١م ، ص٥٣٣-٥٣٩ .
(١٥٦) ابن عامر : المرجع السابق ، ص٤٤ .
(١٥٧) مورينو (مارتينو ماريو) : المسلمون في صقلية ، بيروت ، ١٩٥٧م ، ص٢٠ .
(١٥٨) عمران (محمود سعيد) : معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص٢٨٠ .
(١٥٩) Wieruszowki, Op. cit., P.8.
(١٦٠) علام (عبد الله علي) : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١م ، ص٢٠٦ .
(١٦١) نفسه ، نفس المرجع ، ص٢٠٢ .
(١٦٢) نفسه ، نفس المرجع ، ص٢٠٣ .
(١٦٣) نفسه ، نفس المرجع ، ص٢٠٣ .
(١٦٤) عويس : المرجع السابق ، ص١٩٠ .

(١٦٥) نفسه ، نفس المرجع والصفحة .
(١٦٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص١٥٨ .
(١٦٧) نفسه ، نفس المصدر ، ص١٥٩-١٨٧ .
(١٦٨) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص١٧٧ .
(١٦٩) العربي : المرجع السابق ، ص٢٢٣ .
(١٧٠) السلاوي : كتاب الاستقصى لأخبار المغرب الأقصى ، الدولتان المرابطية والموحدية ، جـ٢ ، تحقيق وتعليق ولدى المؤلف : جعفر الناصري ، محمد الناصري ، مطبعة دار الكتاب العربي ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م ، ص١١٧ .
(١٧١) العربي : المرجع السابق ، ص٢٤٤ .
(١٧٢) يذكر ابن الأثير أن رجار الثاني توفي في العشر الأول من ذي الحجة سنة ٥٤٨هـ (١١٣٥م) ، وكان مرضه بالخوانيق ، وكان عمره قريب ثمانين سنة ، وكان ملكه نحو ستين سنة . انظر : (الكامل ، ج ١١ ، ص١٨٧) .
(١٧٣) هو وليم الأول Gulie (L) mus (٥٤٩-٥٦٢هـ / ١١٥٤-١١٦٦م) ، وقد لقب بالسيئ (The Bad) بسبب قسوته وعدم شعبيته وكره وزرائه له . انظر :
(C. Med. H., V., P. 191), (Curtis, Op. cit., P. 427), (Knight, Op. Cit., P. 55).
(١٧٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص١٨٧ .
(١٧٥) نفسه ، نفس المصدر والصفحة .
(١٧٦) Wieruszzowki, Op. cit., P.29.
(١٧٧) Ibid, P. 30.
(١٧٨) هو Adrian (٥٤٩-٥٥٣هـ / ١١٥٤-١١٥٩م) .
(١٧٩) William of Tyre, Op, cit., PP. 237 - 8.
(١٨٠) Idem, P. 250.
(١٨١) انظر : نص هذه المعاهدة :
Thatcher, O.J., and Mcneal, E.H., ed. A Source Book for Medieaval History, New York, 1905, Doc. No. 99, PP. 181 - 83.
(١٨٢) عاشور : المرجع السابق ، ص٣٧٦ .
(١٨٣) زيتون : المرجع السابق ، ص٢٤٩ .
(١٨٤) Wieruszowski, Op. cit., P. 30.
(١٨٥) Ibid.
(١٨٦) انظر : كتاب الاستقصا ، ج٢ ، ص١٣٠ .

(١٨٧) الفاسي : الأنيس المطرب ، بروض القرطاس ، في تاريخ ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ١٩٧٢م ،ص١٩٧-١٩٨ .

(١٨٨) السلاوي : المصدر السابق ، ص١٣٠ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١١ ، ص٢٠٥ ،٢٤١ .

(١٨٩) كان رجار الثاني قد ولى عمر بن أبي الحسن الفرياني على صفاقس ، وأخذ والده الشيخ أبا الحسن الفرياني رهينة عنده لكي لا يحيد عن طاعته ، ولكن الشيخ أبا الحسن أرسل سراً إلى ابنه بأن ينتهز أول فرصة لنبذ طاعة النورمان ، ولا يبالي بمصير أبيه ، وعندما خرج عمر بن الحسن على النورمان عمدوا إلى شنق والده الشيخ وهو يتلو القرآن الكريم . انظر (التيجاني : المصدر السابق ، ص٧٥) ، وكذلك (ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١١ ، ص٢٠٣-٢٠٤) ، وأيضاً (ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٦ ، ص١٦٩) .

(١٩٠) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١١ ، ص٢٠٤ .

(١٩١) علام : المرجع السابق ، ص٢٠٨ .

(١٩٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١١ ، ص٢٠٥ .

(١٩٣) Wieruszowski, Op. cit., P. 31.

(١٩٤) ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) : المن بالإمامة ، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين تحقيق عبد الهادي التازي ، ط٣ ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧م ، ص١١٢ .

(١٩٥) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢٣٧ .

(١٩٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج١١ ، ص٢٤٢ .

(١٩٧) **الشلندي مفرد الشلنديات** ، وهي سفن كبيرة الحجم ، عظيمة الجرم ، شديدة الاتساع ، كانت تستخدم لنقل المؤن والسلع . ويتميز الشلندي بأنه مركب مسطح ليمكن المقاتلة من محاربة أعدائهم من ظهرها ، بينما يجدف الجدافون تحتهم . انظر : (ابن مماتي : المرجع السابق ، ص٣٤٠) .

(١٩٨) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، نشر وتحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، ط٧ ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٧٨م ، ص٣٣٥-٣٣٦ .

(١٩٩) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص٢٤٣ .

(٢٠٠) نفسه ، نفس المصدر ، ص٢٤٣-٢٤٤ .

(٢٠١) السلاوي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٣٣ .

(٢٠٢) نفسه ، نفس المصدر و الصفحة .

(٢٠٣) انظر : الاستقصا ، ج٢ ، ص١٣٣ .

(٢٠٤) زيتون : المرجع السابق ، ص٢٣٨ .

(٢٠٥) السلاوي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٣٤ .

(٢٠٦) انظر : كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن حققه د . سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، ط ١ ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص١٥٤ ، وكذلك ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص٧٠ .

(٢٠٧) انظر : المعجب ، المصدر السابق ، ص٣٣٦ .

(٢٠٨) السلاوي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٣٤ .

(٢٠٩) أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ج٢ ، ترجمه وعلق عليه محمد عبد الله عنان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م ، ص٤٩ .

(٢١٠) انظر : رحلة التيجاني ، ص٣٤٨-٣٤٩ .

(٢١١) Wieruszowski, Op. cit., P. 32.

(٢١٢) هو وليم الثاني Gulei (l) mus II (٥٦٢-٥٨٥هـ / ١١٦٦-١١٨٩م) .

(٢١٣) أحمد : المرجع السابق ، ص٧٠ .

(٢١٤) عن ذلك انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٢ ، ص١١-١٦ ؛ أبو شامة : كتاب الروضتين ، ج١ ، ص٢٣٥ ؛ المقريزي : السلوك ، ج١ ، ص٥٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص٤١٢ .

(٢١٥) أحمد : المرجع السابق ، ص٧١ .

(٢١٦) عن ذلك انظر : ابن الأثير ، ج١١ ، ص٧-١٠ .

(٢١٧) Wieruszowski, Op. cit., P. 32.

(٢١٨) Ibid.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - المصادر العربية والمعربة :

- ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، ت١١١٠هـ/ ١٦٩٨م) : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ط٣ ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٩٣م .
- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم ، ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣م) : الكامل في التاريخ ، دار الصادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .
- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله إدريس الحموي ، ت حوالي ٥٤٧هـ/ ١١٥٤م) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د .ت .
- بنيامين التطيلي (بنيامين بن بونة التطيلي النباري الأندلسي ، ت٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م) : رحلة بنيامين ، ترجمها عن الأصل العبري وعلق على حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد ، المطبعة الشرقية ، بغداد ، ١٩٤٥م .
- التيجاني (أبو عبد الله بن محمد بن أحمد ، ت حوالي ٧١٧هـ/ ١٣١٧م) : رحلة التيجاني ، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس - ليبيا ، تونس ، ١٩٨٠م .
- ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد ت ٦١٤هـ) : تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار في بلاد مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية عصر

الحروب الصليبية ، تحقيق د .حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

- **ابن حمديس (عبد الجبار أبو بكر بن محمد الأزدي ت ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م) :** ديوان ابن حمديس ، صححه وقدم له د .إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د .ب .

- **الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي ، ت نحو ٧١٠هـ :** «منتخبات من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار خاصة بالجزر والبقاع الإيطالية» ، تحقيق أمبرتو رتيزيتانو ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مج١٨ ، ج١ ،مايو ، ١٩٥٦م .

- **ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل الموصلي البغدادي ، ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) :** صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م .

- **ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين ، ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٩م) :** المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، ج٢ ، تحقيق د .محمود علي مكي ، بيروت ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

- **ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) :** كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج٦ ، مؤسسة العلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

- **ابن دحية (الحافظ مجد الدين عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن دحية الكلبي الأندلسي البلنسي ، ت ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥م) :** المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق إبراهيم الإبياري وآخرون ، القاهرة ، ١٩٥٤م .

- **الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، ت بعد ٥٤٥هـ)** : كتاب الجغرافيا : (ap. Amari, biblioteca Arabo - Sicula, 11) .
- **السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)** : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدولتان المرابطية والموحدة ، ج٢ ، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب الدار البيضاء ، ١٩٥٤م .
- **أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد ، ت٦٥٥هـ/ ١٢٦٧م)** : الروضتين في أخبار الدولتين ، النورية والصلاحية ، جزءان القاهرة ، ١٢٨٧هـ .
- **ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبدالملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي ، ت بعد ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م)** : المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، تحقيق د .عبد الهادي التازي ، ط٣ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨١م .
- **ابن عذاري (أبوعبدالله محمد المراكشي ، ت بعد ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)** : البيان ، المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج١ ، تحقيق ومراجعة ، ج .س . كولان وإ . ليفي بروفنسال ، ط٣ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- **الفاسي (علي بن أبي زرع ، ت ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥م)** : الأنيس المطرب بروض٢ القرطاس ، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ١٩٧٢م .
- **أبو الفدا (الملك المؤيد إسماعيل ، ت٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)** : المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، مج٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، د .ت .

- القزويني :
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - (ap. Amari, biblioteca Arabo - Sicula, 11)
- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،ج٦ ، القاهرة ، ١٩١٣م .
- مؤلف مجهول (مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن) : الحلل الموشية ، في ذكر الأخبار المراكشية ، حققه د . سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .
- المراكشي (محي الدين عبد الواحد بن علي ، ت ٦٤٧هـ) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، نشر وتحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ط٧ ، ١٩٧٨م .
- المقري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ، ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج١ ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .
- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، قام بنشره د . محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٦م .
- ابن مماتي (شرف الدين ، ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) : قوانين الدواوين ، نشر عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، ١٩٤٣م .
- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ، ت٦٩١هـ/ ١٢٩١م) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، نشر د . جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

ثانياً - المراجع العربية والمعربة :

- أحمد (عزيز) : تاريخ صقلية الإسلامي ، تعريب أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس - ليبيا ، تونس ، ١٩٨٠م .
- أرسلان (شكيب) : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٢هـ/ ١٩٤٤م .
- أشباخ (يوسف) : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ج٢ ، ترجمه وعلق عليه محمد عبد الله عنان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م .
- باركر (إرنست) : الحروب الصليبية ، نقله إلى العربية د . السيد الباز العريني ، ط٤ ، النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٧م .
- بروكلمان (كارل) : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ج٢ ، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٤٩م .
- بوزورث (كليفورد .أ) : الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، دراسة في التاريخ والأنساب ، ترجمة حسن علي اللبود ، مراجعة سليمان إبراهيم العسكري ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
- الجندي (جمعة محمد مصطفى) : حكم النورمان في صقلية ، ٤٨٤ - ٥٨٦هـ/ ١٠٩١-١١٩٤م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
- حسن (حسن علي) : « الغزو الهلالي للمغرب ، أسبابه ونتائجه » المجلة التاريخية المصرية ، مج٢٤ ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص١٠٣-١٥٤ .
- حمادة (محمد ماهر) : الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي

إفريقية ٦٤-٨٩٧ هـ/ ٦٨٣-١٤٩٢م ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .
- ربيع (حسنين محمد) : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ط٥ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
- ريتستيانو (أومبرتو) : « النورمنديون وبنو زيري ، من الفتح النورمندي لصقلية حتى وفاة رودجيرو الثاني ، (٤٥٣-٥٤٨هـ/ ١٠٦١-١١٥٤م)» ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مج١١ ، ج١ ، مايو ، ١٩٤٩م .
- رينالدي (لويجي) : « المدينة العربية في المغرب » ، مجلة المقتطف ، مج٥٩ ، القاهرة ، ١٩٢١م .
- زيتون (عادل) : العلاقات السياسية والكنيسة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، ط١ ، دار دمشق ، ج١ ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .
- سالم (السيد عبد العزيز) : المغرب الكبير ، ج٢ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١م .
- سالم (السيد عبد العزيز) ، العبادي (أحمد مختار) : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت - لبنان ، ١٩٦٩م .
- شلبي (سعد إسماعيل) : ابن حمديس الصقلي ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- الشيخ (محمد محمد) : « الفتح النورماني لإنجلترا ، ملحمة فريدة في تاريخ إنجلترا ونورمانديا في العصور الوسطى » ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، تحرير د. قاسم عبده قاسم ، د. رأفت عبد الحميد ، مج٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص٢٣٥-٢٦١ .

- **الطالبي (محمد)** : الدولة الأغلبية ، ١٨٤-٢٩٦ هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م ، نقله إلى العربية د . المنجي الصيادي ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٥م .
- **الطيبي (أمين توفيق)** : دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية ، ط ١ ، ليبيا ، ١٩٩٠م .
- **عاشور (سعيد عبد الفتاح)** : أوربا العصور الوسطى ، ج٨ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١م .
- **ابن عامر (أحمد)** : الدولة الصنهاجية ، صفحة من العصر الذهبي للحضارة التونسية ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٢م .
- **عبادة (عبد الفتاح)** : سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها ، القاهرة ، ١٩١٣م .
- **عبد الوهاب (حسن حسني)** : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، القسم الثاني ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٨١م .
- **العدوي (إبراهيم أحمد)** : المجتمع الأوربي في العصور الوسطى ، ط ١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١م .
- **العربي (إسماعيل)** : دولة بني حماد ، ملوك القلعة وبجاية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨٠م .
- **علام (عبد الله علي)** : الدولة الموحدية بالمغرب ، في عهد عبد المؤمن بن علي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١م .
- **عمران (محمود سعيد)** : معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢م .
- **عويس (عبد الحليم)** : دولة بني حماد ، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ،

ط ١ ، بيروت - القاهرة ، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م .
- فشر (هـ .أ .ل .) : تاريخ أوربا ، العصور الوسطى ، نقله إلى العربية محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
- **لوبون (غوستاف)** : حضارة العرب ، نقله إلى العربية عادل زعيتر ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م .
- **لويس (أرشيبالدر .)** : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ٥٠٠ - ١١٠٠ ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
- **مختار (اللواء محمد مختار باشا)** : كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية ، دراسة وتحقيق وتكملة د . محمد عمارة ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، جزءان ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م .
- **المدني (أحمد توفيق)** : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٦٩م .
- **مورينو (مارتينو ماريو)** : المسلمون في صقلية ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٦٨م .
- **مؤنس (حسين)** : تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس ، ط٢ ، القاهرة ، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م :
- تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩١م .
- « **غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتي ٢٢٩ - ٢٤٥هـ** » ، المجلة التاريخية المصرية ، مج٢ ، عدد ١ ، مايو ١٩٤٩م .

- هونكه (زيغريد) : أثر الحضارة العربية في أوربا ، تعريب فاروق بيضون وكمال الدسوقي ، مراجعة وتعليق مارون عيسى خوري ، ط٥ ، دار الآفاق ، بيروت ، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م .

ثالثاً : المصادر والمراجع الأجنبية

1 - **AMARI, (M-):** Bibioteca Arabo - Sicula, 2eed, revue par. C. A. Nallino, 3 vols., Leipzig, 1854.

2 - **Brooke, Z.N.,** A history of Europe, 911 - 1198, 2nd Ed., London, 1974.

3 - **C.Med H.** = CAMBRIDGE MEDIEVAL HISTORY, planned by J.B.BURY, vol. v, Cambridge University Press, 1929.

4 - **Curtis, M.A.,E** Roger of Sicily and the Normans in Lower Italy, 1010-1154, G.P. Putam's sons, New York and London, 1912.

5 - **Hakins, C.H.,** The Normans in European History London, 1935.

6 - **KINGHT, (H.G.):**

THE NORMANS IN SICILY, Being Aseauel to "AN ARCHITECTURAL TOUR IN NORMANDY,LONDON: JOHN MURRAY, ALBEMARIE STREET, MDCCC XXX VIII (1838).

7 - **Matthew, D.,** The Norman Kingdom of Sicily, Cambridge University Press, First Published, Great Britain, 1992.

8 - **RUNCIMAN, (S.):**

THE SICILIAN VESPER, Cambridge University Press, London, 1961.

9 - **STEPHENSON, (C.):**

MEDIAEVAL HISTORY, 3rd ed, NEW YORK, 1951.

10 - **THATCHER, (O.J.)** and McNEAL, (E.H.):

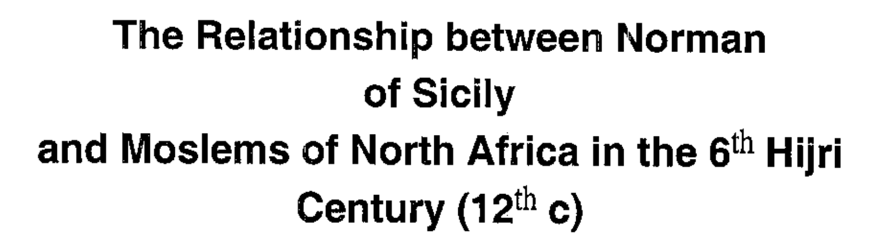
A SOURCE Book FOR MEDIAEVAL HISTORY, Selected Documents

Illustrating The History Of Europe In The Middle Age, CHARLES SCRIBNER'S SONS, NEW YORK, CHICAGO, BOSTON, 1905.

11 - **Wieruszowski, H.,** "The Norman Kingdom of Sicily and the Crusades", in K.M. Setton A History of the Crusades, 11, The Later Crusades 1189 - 1311, Ed., R.L. Walf and H.W. Hazard, Madison,1969.

12 - **WILLIAM, (Archbishop of Tyre):**

A HISTORY OF DEEDS DONE BEYOND THE SEA, Translated and Annotated by E.A. BABCOCK and A.C. KREY, NEW YORK: MORNINGSIDE HEIGHTS, COLUMBIA UNIVERSITY PRESS, 1943.



The Relationship between Norman of Sicily and Moslems of North Africa in the 6th Hijri Century (12th c)

Abstract

The Norman invasion of Sicily is considered an important event and a serious turning point in the sovereignty over the Mediterranean. This is because of Sicily's strategic position between African and Italian shores and its great importance in the marine conflict between the political powers in the region in the 6th Hijri century. The Ziridites sought alliance with the Murabits to face the Norman, who tried to expand their influence to Zridite cities of North Africa. When the navy of the Morabits attacked Sicilian and Italian shores, the Norman began to occupy Ziridite ports. The succession of years of drought in North Africa and the Murabits' engagement with the rising of the Mwahhids (who put an end to the Murabits' rule in 539 Hijri/1146 AD) helped the Norman in their task. Subsequently, the first Muwahhid Caliph Al-Mu'min Ibn Ali waged large-scale ground and naval military operations in 546 Hijri/1151 AD, which resulted in unifying Arab Maghreb.

The Author

Dr. Gomaa Mohammad Mostafa El Gindi

- Ph. D. in Medieval History, Ain Shams University, Egypt 1985.

- Lecturer in the Department of History, Faculty of Education, Ain Shams University, Egypt.

- Member of the Egyptian Historical Society.

Assistant Professor, Sohag Faculty of Arts, South Valley University.

Publications :

- The Norman Rule in Sicily, 484 - 586 H.L 1091 - 1194 A.D, Cairo, 1980.
- The Frankish Life and their Institutions in Syria during 12^{th}c & 13^{th}c, Cairo, 1985.

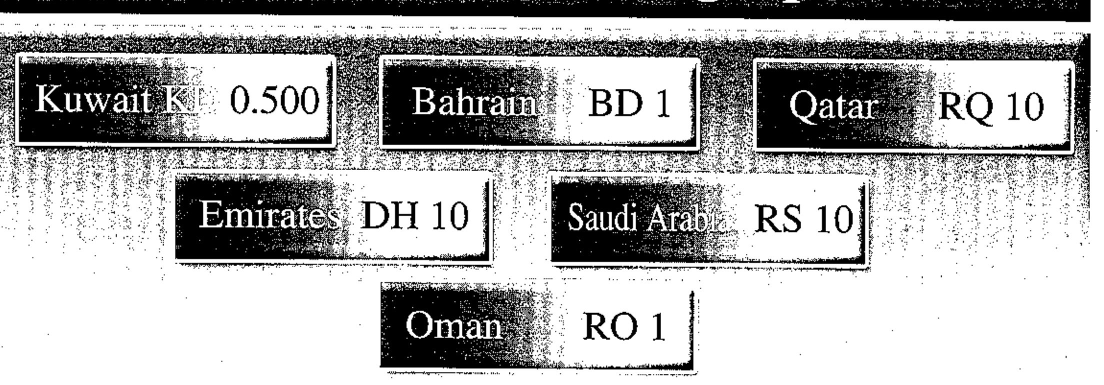


Monograph : 194

The Relationship between Norman of Sicily and Moslems of North Africa in the 6th Hijri Century (12th c)

Dr. Gomaa Mohammad Mostafa El Gindi
Department of History, - Faculty of Education
Ain Shams University
Arab Republic of Egypt

Price of the Monograph



Cost per issue in Arab Countries: Equivalence to one US dollar

- Cost per issue in other Countries: Equivalence to three US dollars

Subscription for 12 Monograph

Subscription Period	Subscription Type	Kuwait	Countries	Foreign Countries
1 Year	Individuals	4 K.D	6 K.D	22 $
	Institutions	22 K.D	22 K.D	90 $
2 Year	Individuals	7 K.D	10 K.D	37 $
	Institutions	37 K.D	37 K.D	150 $
3 Year	Individuals	10 K.D	14 K.D	52 $
	Institutions	52 K.D	52 K.D	210 $
4 Year	Individuals	13 K.D	18 K.D	67 $
	Institutions	67 K.D	67 K.D	270 $

All Correspondence and enquiries must be addressed to

Editor
ANNALS OF ARTS AND SOCIAL SCIENCES
P.O.Box 17370 El-Khaldiah - KUWAIT 72454 - Tel: 4810319 - Fax: 4810319
ISSN 1560- 5248 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-adab
E-mail: aotfoa@kuc01.kuniv.edu.kw
http://Pubcouncil.kuniv.edu.kw/AFA/

Advisory Board

Editorial Board

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

Issued by The Academic Publication Council - Kuwait University

A REFEREED ACADEMIC QUARTERLY THAT PUBLISHES MONOGRAPHS ON TOPICS RELEVANT TO THE SCHOLARLY CONCERNS OF THE VARIOUS DEPARTMENTS IN THE FACULTIES OF ARTS AND SOCIAL SCIENCES:

FACULTY OF ARTS & HUMANITIES:

- Department of Arabic Language and Literature.
- Department of English Language and Literature.
- Department of History.
- Department of Philosophy.
- Mass Communication Department.

FACULTY OF SOCIAL SCIENCES.

- Sociology, Geography, Psychology, Political Sciences.

Volume 23- 2002



ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES



A refereed scientific Quarterly that publishes monographs on topics relevant to the scientific concerns of the various departments in the faculties of arts and social sciences

The Relationship between Norman of Sicily and Moslems of North Africa in the 6th Hijri Century (12th c)

Dr. Gomaa Mohammad Mostafa El Gindi

Department of History -Faculty of Education
Ain Shams University
Arab Republic of Egypt

Monograph 194
Volume 23

1423 - 1424
2002 - 2003

The Academic Publication Council
Kuwait University
Established in 1986

Faculty of Arts & Education Bulletin (1972-1979), Journal of the Social Sciences 1973, Kuwait Journal of Science and Engineering 1974, Journal of the Gulf and Arabian Peninsula Studies 1975, Authorship Translation and Publication Committee 1976, Journal of Law 1977, Annals of the Arts and Social Sciences 1980, Arab Journal for the Humanities 1981, The Educational Journal 1983, Journal of Sharia and Islamic Studies 1983, Medical Principles and Practices 1988, Arab Journal of Administrative Science 1991.